فتاوى
كبار الكتاب والأدباء

في

١ — مستقبل اللغة العربية

٢ — نهضة الشرق العربي وموقفه ازاء المدنية الغربية

عنيت بنشره

ادارة الهلال بمصر

سنة ١٩٢٣

مقدمة

يهم أهل الاقطار العربية جميعاً في هذا العهد الجديد ان يعرفوا ما يكون من أمر اللغة العربيـة في المستقبل وهل تعود الى سالف مجدها وعزها وما يكون تأثير التطور العام فيها . كذلك يهمهم ان يحيطوا بما يكون من موقف هذا الشرق العربي الناهض ازاء المدنية الغربية الحديثة وماذا يجدر به ان يقتبسه منها الى غير ذلك من المسائل الخطيرة التي تشغل اذهان المفكرين . وقد جمعنا في هذا الكتاب آراء طائفة من صفوة الكتاب والادباء والمستشرقين في هذه الموضوعات العظيمة الشأن رداً على استفتائين عرضهما عليهم الهلال في بضع السنوات الاخيرة. ولا ريب ان قراء العربية سيقدرون هذه المجموعة الفريدة حق قدرها فانه لم يسبق ان اجتمع بين دفتي كتاب مثل هذا القدر من النظرات البعيدة والافكار الخطيرة

ادارة الهلال

الكتاب الاول

مستقبل اللغة العربية

موضوع الاستفتاء

ما هو مستقبل اللغة العربية في نظركم ؟

وما عسى أن يكون تأثير التمدين الاوربي والروح الغربية فيها ؟

وما يكون تأثير التطور السياسي الحاضر في الاقطار العربية ؟

هل يعم انتشارها في المدارس العالية وغير العالية وتعلم بها جميع العلوم ؟

وهل تتغلب على اللهجات العامية المختلفة وتوحدها ؟

وما هي خير الوسائل لاحيائها ؟

الاستاذ ا . غويدي

المستشرق الايطالي والعضو في مجلس الشيوخ

... لا ريب في أن الامتيازات العظيمة التي حصل عليها العرب من جرّاء حوادث السنوات الاخيرة سيكون لها تأثير شديد في اللغة العربية . وفي رأيي انه يجب أن تتكوّن لغة كتابية سهلة يفهمها الجمهور العربي وتكون مستقلة عن اللهجات العامية المختلفة . أما الانشاء الخيالي المفخم وأساليب البديع فيجب أن تخصص للكتب ذات الصفة الأدبية الصرفة . ثم اني أرى من الممكن ادخال شيء من الاصلاح على طريقة الكتابة العربية ولا سيا فيما يتعلق بكتابة أسماء الاعلام . على اني أعلم جيداً الصعوبات التي تعترض هذا الاصلاح بالنظر الى الخط العربي وقواعده . ولكن ألا يمكن استعمال أحرف خاصة سميكة في أول أسماء الاعلام من حجم الاحرف الاخرى ؟ ان العمل بهذا الرأي يسهل مطالعة الكتابة العربية كثيراً فضلا عن فوائده العظيمة في التعليم

على أنه يسهل عليكم اكثر مما يسهل عليّ تكوين رأي في هذا الشأن . وعلى كل حال فاني شديد العناية بتتبع التقدم الذي يحدث في البلاد العربية . ولا ريب عندي أن الجنس العربي سيلعب مرة أخرى دوراً خطيراً في تاريخ الشرق والحضارة ...

ا . غويدي   (ترجمة)

الاستاذ رتشرد كوتهيل

المستشرق الاميركي والاستاذ في جامعة كولمبيا

قل منا نحن الغربيين من يقدر اللغة العربيـة حق قدرها من حيث أهميتها وغناها . فهي بفضل تاريخ الاقوام التي نطقت بهـا وبداعي انتشارها في أقاليم كثيرة واحتكاكها بمدنيات مختلفة قد نمت الى أن أصبحت لغة مدنية بأسرها بعـد أن كانت لغة قبيلة واحدة . ومع ان اللسان المغربي يختلف عن اللسان المصري بقـدر ما يختلف اللسان المصري عن الحضرمي والحضرمي عن البغدادي فاللغة واحدة والخط واحد . فالعربية من هذا القبيل أشبه بالانكليزية التي اجتازت البحار وقطعت القارات وغدت أساساً لمدنية جامعة

ومما لا ريب فيه ان الانقلابات الناجمة عن الحرب الـكبرى سيكون لها شأن في تقريب البلاد العربية وأبنائها على اختلاف مللهم ونحلهم وتكوين ما نسميه نحن الاوربيين « مدنيـة » . وسوف يتيسر للمدنية الاوربية احداث تأثير شديد في اللسان العربي . وهو تأثير لا مندوحة عنه بداعي التلامس المكاني والالتصاق الروحي اللذين كادا يتمان . على ان اللسان العربي والآداب العربية ستحتفظ بكيانها في المستقبل كما احتفظت به في الماضي . فهذه هي المرة الثالثة التي احتكت فيها بمدنية الغرب وعادت سالمة . ففي صـدر الاسلام

احتك الدين الجديد والنهضة الجديدة وآدابها بحضارة العصر اليوناني اللاتيني الذابلة واستفادت فائدة جليلة الا انها لم تغلب على أمرها . ولما اجتاز العرب بوغاز جبل طارق وحلوا في اسبانيا وجنوبي فرنسا تم التلامس للمرة الثانية وذلك مع المدنية اللاتينية الغوتية ولكن العرب لم يتقهقروا بل تقهقروا الى أفريقيا تاركين في اسبانيا اكثر مما أخذوا عنها . فمن الواضح ان الينابيع التي استمدت منها الآداب العربية وحيها والهامها لم تكن ناضبة

وفي مذهبي ان نتيجة الاحتكاك الثالث الذي نحن بصدده الآن ستكون مثل نتيجته في المرتين الآخريين مهما تكن التغيرات السياسية . فربما بسطت فرنسا حمايتها على سوريا وبريطانيا العظمى تولت المحافظة على مستقبل جنوبي ما بين النهرين غير انه لا يعقل أن اللغة الافرنسية أو الانكليزية تحل محل اللغة العربية . وان شعباً له آداب غنية متنوعة كالآداب العربية ولغة مرنة لينة ذات مادة تكاد لا تفنى لا يخون ماضيه ولا ينبذ ارثاً اتصل اليه بعد قرون طويلة عن آبائه وأجداده . ولو أصبح العالم كله واحداً في الجنس واللغة لكان ذلك من تعسه . فعلى المرء ان يفهم فكر أخيه وعمله مهما اختلفت الالسن . وليكن برج بابل رمزاً للوحدة برغم التباين لا للتبلبل والاضطراب

لا بد أن يكون للتأثير الغربي شأن في الشرق الادنى . ولا بد من ايجاد كلمات جديدة لمعان جديدة ولكن هذا يسهل وقوعه

ضمن دائرة اللغة وبفضل الوسائل التي لدينا . ومن الممكن أن يتشعب عن اللسان العربي على كرور الايام لهجات متعددة . فالفاصل القديم بين العربية الشرقية واللسان المغربي ان يزول . فان مراكش ن تغير لهجتها اجابة لداعي قوة خارجية . ومع ذلك فالتباين الجزئي الذي يقلق خاطر الغربي وهو مسافر من مصر الى فسلطين وسوريا ومن هناك الى بلاد ما بين النهرين — وهو تباين لا يزيد عن التباين الكائن بين لهجة لانكشير ويوركشير في اللغة الانكليزية — لابد أن يزول الا القليل منه . وعليه فسيكون لدينا منطقة عربية تتكلم لغة واحدة شاملة كل أفريقيا الشمالية ولا يصدها عن الجنوب سوى سير الانكليزية والافرنسية من أفريقية الوسطى الى الشمال ، مع كل جزيرة بلاد العرب حتى جبال طورس حيث تصدها الالسن الايرانية العجمية ، ومن هناك الى بلاد ما بين النهرين حتى الخليج العجمي . ولولا قيام الامة الارمنية الحديثة لما كان عندي شك في أن العربية تتمكن من الانتشار تدريجاً في آسيا الصغرى والقيام مقام التركية فانها تفضلها بنشاطها وامكان تكيفها

وما قيل في اللغة يقال في الخط العربي . فمن الغبن والعبث أن يحاول أحد — كما حاول بعضهم في الماضي القريب — أن يقنع الاقوام الناطقة بالضاد بان تستعيض عن خطها بالخط الاوربي . فان حرفاً تكتب به العربية والفارسية والتركية والاوردية وغيرها لحقيق ان تستعمله الشعوب الناطقة بالضاد . ولا يستطيع الانسان اختراع

حرف قادر على مجاراة التغيرات اللفظية الناتجة عن تغيير الزمان والمحيط . ورب حياة سهلت شؤونها لدرجة أصبحت بها موتاً ولم تعد حياة !

ولست أرى سبباً يمنع جعل العربية في كل تلك الامصار لغة التعليم في المدرسة وفي الكلية . بل يجب جعلها كذلك . على أنني أستثني فلسطين حين تصبح وطناً سياسياً لليهود . اذ تكون العبرانية لغة التعليم فيها . ولكنني أطلب جعل تدريس العربية اجبارياً لانها لغة مواطني اليهود في فلسطين ولغة المدنية المحيطة بهم . وانني ممن لا يستحسنون جعل اللغات الاوربية لغات تدريس عامة بل أنا ممن يقولون بتدريسها في الكليات وانديه العلم العليا

كان للعربية ماض مجيد . وفي مذهبي انه سيكون لها مستقبل باهر . ولأرباب العلم في مصر وسوريا فضل في ابقاء نورها ساطعاً . أما الآن وقد خولوا حرية لم تكن لهم من قبل وأزيح النير التركي الظالم عن رقابهم ففي استطاعتهم اتباع الخطة التي رسموها لانفسهم . والطريقة الوحيدة التي يجب استعمالها هي طريقة التهذيب . وليس من وسيلة لاشعال النور الذي سطع في الايام الغابرة وجعل الشعوب الناطقة بالضاد خلفاً صالحاً لاسلافهم العظام أفضل من درس تاريخ الآباء وآداب الاجداد

(ترجمة) رتشرد كوتهيل

الاب لامنس

العلاّمة المستشرق اليسوعي

اني أثق بمستقبل حسن للغة العربية على شرط أن يتولى الحكم في البلاد العربيـة رجال ذوو نظر بعيد وأفكار واسعة ووطنية رحبـة يقتنعون بان مستقبـل لغتهم يتوقف على اتحادها وثيقاً بالمدنية الغربية

ويجب أن يعنى اهل البلاد العربيـة بلغتهم باعتبار انها لغة وطنية . على انه ينبغي لهم ان يثابروا على تعلم اللغات الاوربية التي مكنت السوريين بوجه خاص ان يلعبوا دورهم التاريخي . وليس عندي ادنى شك في انه اذا جعل التعليم العالي باللغة العربية تنعزل البلاد العربية شيئاً فشيئاً عن الحركة العامة اذ تصبح اللغة الوطنية حاجزاً منيعاً دون مواصلة التقدم

هذا هو رأيي ولا سلطة لي في ابدائه الا ما خولني اياه انصرافي اثناء اربعين سنة الى تعلم اللغة العربية وتاريخ الشعوب التي تتكلمها

(ترجمة) لامنس

الاستاذ وليم ورل

المستشرق الاميركي ومدير مدرسة المباحث الشرقية الاميركية في القدس

ينبغي للباحث في مستقبل الشعوب التي تتكلم العربية ألا يبرح من ذهنه ان الشعوب المسيحية الغربية قد مرت في دورين من أدوار التطور السياسي في حين أن الشعوب العربية لم تختبر الا أحدهما . أما الدوران فهما : دور العصبية الدينية ودور العصبية القومية . ولا يخفى ان الشعوب جميعاً تتقدم اليوم نحو دور ثالث هو الدور الدولي internationalism (أي الدور الذي تعد فيه الاعتبارات الدولية المشتركة اسمى من الاعتبارات الوطنية الخاصة) . فقد كان العالم قبل تكوّن القوميات الحديثة مقسوماً الى قسمين رئيسيين : النصرانية ولغتها اللاتينية والاسلام ولغته العربية . وقد كان اليهود في الغرب والمسيحيون الشرقيون في الشرق بمثابة دخلاء غرباء بين أقوام يختلفون عنهم في العقيدة

على ان العالم الغربي مع كونه يتطلع في الوقت الحاضر الى مجيء الدور الدولي باعتبار انه يضمن مصالح البشر جميعاً ويوفق بينهم لا يزال قائماً على النظام الوطني القومي والامل قليل لاهل هذا الجيل بمشاهدة انحلال هذا النظام

اما أهل البلاد العربية فلم تتجلَّ فيهم الروح الوطنية بعد، فهم لا يزالون متمسكين بالعصبية الدينيـة فهل يا ترى يدخلون في الدور الثاني أو ينتقلون مباشرة الى الدور الثالث ؟ هذا ما ستكشفه لنا الايام

وبينا نرى رجال الدين من جهـة يحثون على الرجوع الى العصبيات الدينية والاشتراكيين والمتطرفين من جهة أخرى يرمون الى التآلف على أساس تنوع الطبقات الاجتماعية فالبشر لا يزالون في الواقع موزعين باعتبار القوميات . واني فيما يخصني اسر لو رأيت أهل الاقطار العربية مخلصين لمصلحة البلاد التي يعيشون فيها قبل النظر الى الروابط الدينية التي تربطهم . على ان ذلك مخالف لتقاليدهم في العصور الماضية فان الفوارق الدينية تكاد تكون أشد ويلا على الشرق من الفوارق الاقتصادية في الغرب

ومهما يكن الامر فان حالة روسيا في الوقت الحاضر يجب أن تكون عبرة للاقطار التي لم ينتشر فيها التعليم انتشاراً كبيراً . فان التعليم أساس التقدم السياسي والمسئولية السياسية

أما سؤالـكم عن مستقبل اللغة العربية فالجواب عليه أن هذه اللغة لم تتقهقر قط فيما مضى أمام أي لغـة أخرى من اللغات التي احتكت بها وينتظر أن تحافظ على كيانها في المستقبل كما حافظت عليه في المـاضي

ولا ريب أن الاحتكاك بالمدنية الغربية سيكون له شأن متزايد

في تطور اللغة العربية . فعسى أن هـذا التأثير يتناول الآراء والافكار من غير ان يتطرق الى اللغة وقواعدها

أما الانفجارات السياسية التي يشاهدها العالم في الوقت الحاضر فسيكون لها تأثير على الاقطار العربية . غير انه نظراً الى الاحوال التي سبق لي وصفها والى أن رؤوس الاموال قليلة في الشرق لا يتوقع حدوث شيء شبيه بالبلشفية . ولو حدث ذلك لادى على الارجح الى اضمحلال اللغة العربية الفصحى

واللغة العربية لين ومرونة يمكنانها من التكيف وفقاً لمقتضيات هذا العصر . وليس من يشك في انه متى سنحت لها الظروف تستطيع ان تبلغ درجة من الدقة والرقي تمكنها من التعبير عن اسمى الاغراض العلمية . ويجوز اذ ذاك للجامعات الشرقية أن تعلم العلوم باللغة العربية كما تعلم في هولندا والدانمرك مثلاً باللغتين الهولندية والدانمركية . على انه لا يكون للشرقيين غنى عن تعلم الانكليزية والفرنسية والالمانية كما يتعلمها الغربيون أنفسهم

أما سؤالكم عن بقاء اللغة العربية واحدة أو تحولها الى عدة لغات فالجواب عليه ان اللغة العربية الفصحى ليست حية في أفواه الشعوب العربية . ولو استطاع أحد ان يجعلها جميعاً تتكلم بها — ولو بصورتها العصرية كما تبدو في الجرائد — فانه يأتي بذلك امراً ليس له من مثيل في تاريخ العالم . فالنتيجة التي لا مناص منها هي انه سوف تعتبر احدى اللهجات العربية الشائعة — اما كما هي او مع بعض

التعديل ـ المثل الاسمى للعربية فتستعمل للتعبير في الموضوعات الادبيـة

والطريقة الفضلى لحفظ اللغة العربيـة واحيائها هي الاعتراف بالقاعدة التاريخية الثابتة التي مؤداها ان مرجع اللغة الحقيقي على مرور الزمن هو كلام العامة مع شيء من التنقية والتطهير . وانه من المحال ايجاد حياة وطنية صحيحة بلا معونة لغة يستطيع الشعب بأجمعه ان يفهمها ويكتبها بسهولة

(ترجمة)　　　　　　　　ولـم ورل

خليل مطران

أديب القطرين السوري والمصري

أرجو بما تبذله مصر والشام من المجهودات العظيمة في سبيل احياء اللغة العربية أن يكون مستقبلها زاهياً زاهراً

ومعظم هذه المجهودات قد اتجه الوجهة التي دعت اليها ضرورات الحياة أو قضى بها طلب البقاء . وعامل هذا الاتجاه انما هو تأثير التمدين الاوربي والروح الغربية لتغلبهما على اخلاقنا وعاداتنا وعيشاتنا باختلاف ضروبها ومن ثم على أحوالنا الادبية وأساليبنا البيانية بحيث انك لو طالعت الآن مقالات الصحف وفصول المجلات والاسفار لوجدتها شبيهة بالمعربة وان كانت منشأة انشاء . وذلك لا لعجمة نحنور فصاحتها بالضرورة ولا لهجنة في تراكيبها تنجم من اختلاط السليقة بل لاننا بفعل التقويم الذي قومت عليه نفوسنا والتنشئة التي نشئت عليها ملكاتنا أصبحنا نستغني عن كثير من الفضول التي كانت تضفو عن مقتضيات المقام في الفواتح والخواتم من كل كلام . ثم لاننا أصبحنا نعد للقول موضوعه ونرتب أجزاءه ونتخير له من المعاني والالفاظ كل ما يتساوق معه ونقطع الجمل لاراحة القارىء مع بقاء الارتباط الضمني والتسلسل الذهني . ثم لاننا بتصورنا الاشياء التي تقع تحت أبصارنا على النحو

الذي انتهت اليـه صورها على يد الاختراعات والابتداعات والمحررات والمختبرات الافرنجية الجديدة اصبحنا ندونها على النحو المنطبق عليها والذي هو اذن مختلف عما كانت عليه أمثالها من قبل كاختلافها هي عن تلك الامثال . أليست المصابيح والمرائي بل البيوت والقرى بل كل ما نستعمله من اداة ونطالعه من صحيفة غير ما كان عنـد العرب بشكله ونظامه على كونه اياه بالغرض المقصود منه والحاجة التي خلق لقضائها

* * *

تمشي الآن مصر في مقدمة الامم العربية الاخرى من حيث العناية بتعلم اللغة العربية وتعليمها في المدارس الاولية والعالية . وقد أصبحت سورية تليها بعد ان كانت سابقة لها في هذا المجال. واعتقد أن سائر الاقطار العربية ستطرس على آثار هتين الامتين اللتين هما منارتاها . وقد قرب اليوم الذي يستطاع فيه وجود الكل أو الجل من الاصطلاحات العربية أو المعربة بأحكام ومهارة لتلقين ضروب العلوم بلسان الضاد ويسرني جداً تقرير ما أراه من التقدم الحثيث في هذه السبيل

* * *

اللغات العامية أو اللغى ستبقى ما بقي اختلاف الزمان والمكان . وما دامت لا تتوحد الدولة العربية فلن تتوحد اللغة العربية مجتمعة كلها في الفصحى أو في المبتذلة . ولـكن هذا الاختلاف عينه هو

الذي كان وسيكون أكبر سبب للعناية باللغة الفصحى وتعميمها بين طبقات المتعلمين في كل تلك الأمم لتجعل وسيلة التعارف فالتآلف فالتعاون في الشؤون المشتركة بينها بحكم اللحمة الشرقية أو السدى الديني أو الحماية المعاشية أو الدفاع الحربي الى آخر هذه البواعث الفعالة القوية. ولا تنس أن الاستمرار في تعلم اللغة الفصحى وتعليمها والاهتمام بتسهيلها وتقريبها وتعميمها هو انها لغة القرآن الشريف وكفى بهذا بياناً لقوم مبصرين

* * *

أما خير الوسائل لاحياء اللغة فتعدد المدارس التي تعنى بها ورعاية الحكومات ، أو جماعات ذات حول وطول من أهل الجاه والفضل لتلك المدارس ، ووجود معجم صحيح شامل مضبوط بالشكل الكامل جامع للاصيل والمولد والحديث بعلائم مميزة يقوم بعمله نظم من العلماء الاعلام المجمع على كفاءتهم وتبريزهم في الاقاليم العربية على اختلافها يجعل مقرهم مصر ويكون ذلك المعجم وما اليه شغلهم الاكبر وعملهم الاظهر . وسأكتب في هذا المعنى بحثاً وافياً ببيانه وتبيينه لعظيم فائدته وعميم عائدته . هذا رأيي بنهاية الايجاز كما أردتم وحياكم الله

خليل مطران

محمد كرد علي

صاحب « المقتبس »
ورئيس المجمع العلمي العربي في دمشق

ان استفتاءكم في مستقبل اللغة العربية مهم للغاية وأظن التطور السياسي الاخير يزيدها استحكاماً وانتشاراً . فان التركية كادت تقضي عليها في دمشق وبغداد بل في مكة والمدينة . وها هي الآن تنشط من عقالها والنفوس ترغب في تحصيلها والمتعلمون يفاخرون باتقانها وستدرس بها جميع العلوم العالية فتحسن دراستها وتزيد مرونة لقبول الاوضاع الجديدة لانها لم تتعاص على ذلك وهي في ابان بعثها فكيف بها في هذا القرن وهي ترى العلوم تزيد والالفاظ والمسميات تكثر . ولعله لا يمضي قرن أو قرنان حتى تتوحد اللهجات العامية لان الفصحى آخذة بالتغلب عليها على كل حال ودليلنا على ذلك مصر وبعض مدن سورية التي كان فيها مدارس وجرائد كثيرة . وخير وسيلة لاحيائها نشر جميع ما خلفه علماء العرب وأدباؤهم من القرن الثاني الى القرن التاسع والعاشر للهجرة وتعليم جميع العلوم بالعربية في المدارس وبث الكتب النافعة بين جميع طبقات الامة في المدن والقرى والحواضر والبوادي وعناية أهل كل أفق بترتيب فصحاء منهم ينوعون أساليب التعليم للامة في كتب ورسائل ومحاضرات وخطب وتمثيل وغير ذلك

محمد كرد علي

الاستاذ جبر ضومط

استاذ اللغة العربية في الجامعة الاميركية في بيروت

(١) ماهو مستقبل اللغة العربية في نظركم ؟

(ج) مستقبلها غير ما كان يقدر لها قبل هذه الحرب المشؤومة التي غيرت وستغير في افكار وهمم أبناء هذه اللغة كما غيرت وستغير من افكار ونيات الغربيين المستوسعين بهم . ولعل تبعة هذه الحرب ستكون شراً من تبعة كل حرب تقدمتها على العربية والعرب الى ان يتم التوازن الدولي بين الامم

(٢) ما عسى ان يكون تأثير التمدن الاوربي والروح الغربية فيها ؟

(ج) اذا طغى التمدن الاوربي على البلاد العربية في المستقبل القريب وهو طام كما تشير الى ذلك كل الظواهر طمت معه امة أهله على اللغة العربية . ومعنى طموّ التمدن الاوربي هو تعزز الغربيين وامتداد سلطتهم ونفوذ نفوذهم . وبعبارة أخرى هو تسلطهم الادبي والسياسي حساً . وهذا ولا شك يوجب أو يفضي الى اقبال المغلوبين على آداب الغالبين ولغتهم واهمال آدابهم ولغتهم الوطنية نوعاً . وعلى نسبة شدة تسلط الغربيين ونفوذ نفوذهم تتراجع اللغة

العربية والروح العربي الى ان يتم المكتوب في لوح الاقدار . ولا شك ان جهاد اللغة العربية والروح العربي في المستقبل سيكون شديداً جداً كما كان جهاد اللغة العبرانية والروح العبرانية اليهودية فيما مضى

(٣) ماذا يكون تأثير التطور السياسي الحاضر في الاقطار العربية ؟

(ج) اذا بقي التطور السياسي الدولي على ما يظهر لنا الآن. فلا شك أن تأثيره سيكون شديداً يؤدي الى المهاجرة الخفية . ولا يبعد أن يتبع السوريون وكثيرون من أهل ما بين النهرين خطوات اليهود اخوانهم في اللغة والجنسية ويحذوا حذوهم في طريقة حفظ كيانهم . ولعل اكثرهم يفضلون أخيراً السحص بقوميتهم ولغتهم في ولايات أميركا الجنوبية المعتدلة الهواء ويكثرون فيها ويظهر تأثيرهم هنالك ظهوراً لا يتهيأ لهم مثله في الولايات المتحدة ولا في اوستراليا . ونظن انه كما كان شرقي أوربا فيما مر قبلة مهاجرة اليهود اخوان السوريين كذلك ستكون أميركا الشمالية والجنوبية ولا سيما الجنوبية قبلة مهاجرة العرب من سوريين وغيرهم . ولكنهم لا يلاقون من الاضطهاد ما لاقاه ولا يزال اليهود يلاقونه في روسيا وبولونيا وبعض ممالك البلقان . كل ذلك نقدر حصوله اذا استمر التوازن الدولي الحالي كما نراه الآن من وراء ضباب السياسة الكثيف

(٤) هل يعم انتشارها في المدارس العالية وغير العالية وهل تعلم بها جميع العلوم ؟

(ج) اذا كانت رغبة الغربيين واهتمامهم في البلاد العربية كرغبة الاميركيين واهتمامهم في الفيليبين فسيحذو هؤلاء في نشر لغتهم هنا حذو الاميركان هناك . لكن لما كانت العربية غير الفيليبينية فلا بدع اذن ان يشتد الجهاد بين العربية وبين الانكليزية والفرنساوية وسيكون السبق في المدارس العالية والطبية للانكليزية والفرنساوية في الارجح لان المسوصين بنا من أهل هاتين اللغتين سيديرون وجوهم الى جهة جملهم : وهو طبيعي

(٥) هل تتغلب على اللهجات العامية المختلفة وتوحدها ؟

(ج) في كل اللغات الراقية لهجات عامية مختلفة ولكن اللغة الفصحى لغة المتعلمين والمعلمين وهي لغة المدارس والجرائد والكتب . واذا بقي الاسلام وسيبقى فلغة القرآن والحديث وسائر الآداب العربية منذ عهد الرسالة الى اليوم أقوى من سائر اللغات الاوربية على هضم اللهجات العامية المختلفة . ولذلك فستبقى هذه اللغة الشريفة كما كانت لغة العلم والمتعلمين والادباء والمتأدبين ولغة الصحافة والمؤلفين الى ما شاء الله

(٦) ماهي خير الوسائل لاحيائها ؟

(ج) خير الوسائل لاحيائها رغبة أهلها فيها حفظاً لكيانهم وقوميتهم ويزيد رغبتهم فيها تحامل الانكليز أو الفرنساويين عليها

أو اضطهادهم جبراً لها . ولعلهم لا يصارحون بالمقاومة وحينئذ فلا أفضل من الاعتماد على المدارس الابتدائية الاهلية واختيار أفاضل المعلمين لها واشباعهم واكرامهم لانهم يخدمون هذه الخدمة الوطنية ويضحون حياتهم في سبيلها والسلام

جبر ضومط

سليم سركيس

لما كانت اللغة العربية لغة المسلمين خاصة وعليهم دون سواهم انتعاشها فجوابي على سؤالكم ان . . .

في فمي ماء وهل ينطق من في فيه ماء

سليم سركيس

عيسى اسكندر المعلوف

صاحب مجلة الآثار

(١) الادلة متواترة على ارتقاء اللغـة اليوم بعناية أبنائها والمستشرقين الكرام وكلها مقـدمات لنتائج حسـنة تفضي الى مستقبل حسن

(٢) ان لتأثير التمدين الاوربي والروح الغربيـة فيها توسعاً بالافكار وتفنناً بالاساليب وتبسطاً في التأليف والتعريب وبثاً لروح جديدة بين الناطقين بالضاد وذلك يظهر من استقراء النهضة الاخيرة منذ بدئها الى اليوم ويدل على هذا التأثير دلالة صريحة نثراً ونظماً وعلماً وأسلوباً الخ

(٣) سيكون التطور السياسي الحاضر في الاقطار العربية باعثاً على رفع منار اللغة وتجديد نهضتها لان اللغة من الروابط السياسية الوثيقة العرى فتنهض بنهضة الحكومة

(٤) ان تعميم اللغة في المدارس العليا وغـيرها وتعليم جميع العلوم بها يتوقف على مضافرة الحكومة وتذليل الصعاب المعترضة في سبيل ذلك . وليس أفضل من المجامع العلمية تقام في كل قطر وتتحد برأي واحد على الاوضاع والمعربات والمنقولات والمؤلفات فتغني اللغة بها وتنقل اليها أحدثها وأنفعها وأدقها كما فعلت الحكومة

المصرية في أول عهدها والمدرسة الاميركانية في بيروت في أوائل انشائها وكما تفعل اليوم وزارة المعارف في القطر المصري . وذلك يتم بتقديم الاهم على المهم وتذليل العوائق لنقل الشكوى من تعذر التعلم والتصنيف بالعربية

(٥) اذا بقي المحافظون على أساليب اللغة الفصحى واقفين في سبيل المتساهلين والناحين منحى العامة في اللغة والاساليب يزيفون كتاباتهم وينتقدونها بتصحيحها وينبذون كل ما يشوب الفصحى منها تسيطر هذه على اللغة العامية . كما ترى بالمقابلة بين الاساليب الحاضرة والاساليب القديمة ولا سيما في الجرائد والمجلات

(٦) تقدم لي ذكر أهم الوسائل لاحياء اللغة في مجلة الزهور المصرية (١ : ٣٤٣ و٣٥١) منذ تسع سنوات وقد حصرت ارتقاء اللغة بسلم ذات ثماني درجات هي الدولة والامة والمدرسة والصحافة والمطبعة والتأليف والمجمع العلمي والمكتبة فهي كافلة باحياء اللغة تدريجاً لا طفرة . حقق الله الآمال بها

عيسى اسكندر المعلوف

مصطفى صادق الرافعي

الشاعر الاديب المعروف

• ان الجواب على هذه المسائل لا يلقى في كلمات ولا يبتنى الا على بحث طويل ، غير انا نرمي بنتيجة البحث ونعين الجهة التي استقر عندها النظر وكل جملة مما سنذكره فهي محل تفصيل . ولا يغيبن عن القارئ ان بعض هذه المسائل مركب على قضايا من الغيب وفي علم الله ما استأثر الله بعلمه وما الينا نشأة التاريخ فيكون علينا أن نصيب في الحكم عليه

(١) نقول في مستقبل العربية ان الماضي كان مستقبلا قبل أن يصير ماضياً فالعوامل الطبيعية التي اثرت في بنائه هي نفسها التي تعين على استكناه ما بعده مما لا يزال مستقبلا ان نفذ الرأي الى ما بعده . والتاريخ في الحقيقة كأنه ينبت من القبور حيث دفنت القرائح والافكار والاصول الانسانية التي يرث منها الخلق . وهذه اللغة العربية تمتاز على اللغات كافة بارتباطها الى الاصلين العظيمين الخالدين القرآن والحديث وهما على وجه واحد أول الدهر وآخر الدهر واليهما مناط العقائد في العالم الاسلامي كله . فقد جعلا هذه اللغة ولا سبيل للغة عليها من حيث هي كما انه لا سبيل لدين على دينها من حيث هو ، وهذا مما يهوّن الخطب فيها ان ضعفت او عدت

عليها بعض عوادي الاجتماع فان قوة الحيــاة المستكنة في أصولها لا تلبث ان تشد منها وتذهب بأمراضها عند أيسر العلاج . وليس يخفى ان الـكيان الانساني قائم على القوى الادبية وأصل هذه القوى في العالم الاسلامي هو القرآن وهو كذلك أصبح من وجوه كثيرة كأنه أصل اللغة . فما دام كل انقلاب اجتماعي فينا لا يأتي على هذا الاصل فهو لن يأتي على تلك اللغة واذا كان الحي لا يبنى الا من داخله فهو لا يهدم الا من داخله

فالمسألة اذن من مسائل الضعف والقوة لا من مسائل موت اللغة وحياتها . وههنا أصلان عظيمان يستند اليهما الباحث في مستقبل العربية وقلما يلتفت اليهما احد . فالاول ان سواد الذين يتكلمون بهذه اللغة هم من ابعد الشعوب أعراقاً في تاريخ المدنيــة وذهاباً في عصورها وتغلغلا في طبقات الميراث الانساني وذلك أصل عظيم في الاحتفاظ بها بعد ان صارت قطعة من تاريخهم وكأنما عناية الهية بهذه اللغة ان لا تستفيض الا في تلك الشعوب . والثاني ان في العربية نفسها نوعاً من الاستهواء بما فيها من جمال التركيب وروعة اللفظ وحسن الاداء الى غيرها من المميزات المعروفة حتى ان غير أهلها ليكونون في حبهم اياها أحق بها وأهلها

وظاهر ان لـكل لغة قوية وجهاً سياسياً كما ان لـكل سياسة قوية وجهاً لغوياً . . . فالشعوب قائمة على الاختلاف والتنازع وهنا موضع الضعف والقوة . فان نهض اهل العربية وكتبت لهم السلامة

من تحكم المستعمرين وجنبهم الله هذه المحن التي هي فضائل السيامة فتلك نهضة العربية نفسها ، وان ضعفوا فذلك ضعفها وما أراها إلا ستنهض في مصر وسوريا نهضة من يستجمع . وربما شهد الناس دهراً يصلح ان يسمى فيه ما بين العراق الى الاطلانطيق (جمهورية اللغة العربية) وما هو ببعيد والله غالب على أمره

(٢) وتأثير التمدين الاوربي والروح الغربية في هذه اللغة فلن يكون الا على السابقة التي سلفت من تأثير علوم الفرس واليونان وغيرهم ولا ضرر منه على اللغة فهي قوية متينة تحمل ذلك وتستلحقه وتأتينا به مستعرباً وان نبت في لندن وباريس وبرلين وغيرها كما جاءت بمثله من قبل . وما دام فينا حفاظ ونزعة صحيحة فلا نخشى على لغتنا ضرورة من الضرورات لان في كل تاريخ حي ممراً لمثل هذه الضرورة تبدأ فيه من جهة وتنتهي منه في جهة . وما من شعب هو كل الناس

(٣) وأما تأثير التطور السياسي الحاضر فما أرى اسباب الحكم عليه قد استجمعت بعد والاقدار لا تزال « في المداولة » ... ومن قال لا أدري فقد أفتى والله يحكم لا معقب لحكمه

(٤) ولست ارى ما يمنع انتشار اللغة وأن تعلم بها جميع العلوم فان هذا شرط في احيائها واحيائنا ومتى بدأت مصر بذلك وهي بادئة ان شاء الله فلا تحسبا هنداً لها الحسن وحدها بل كل غانية هند

(٥) بيد ان العربية لا يأتى لها بحال من الاحوال أن تغلب على كل اللهجات العامية وتستغرقها وتأخذها بدين التوحيد فما ذلك في طبيعتها ولا هو في طبيعة الناس ولكنها تفصح من هذه اللهجات وهذا حسبنا

(٦) وأما خير الوسائل في احيائها فهي عندي : (١) انشاء المجمع العلمي العربي في مصر على أن يكون كمجامع اوربا وعلى ان يعمل عملها ويأخذ بسنتها . فأما فئة كهذه التي أطلقوا عليها اسم المجمع اللغوي وجرت باسم الله مرساها . . . فانما هي كتب في دار الكتب . (٢) اصلاح تعليم العربية وآدابها ونبذ هذه الدفاتر الغثة التي يدرسون فيها والرجوع الى طريقة الرواة المتقدمين (الطريقة الانسكلوبيذية) مما يجمع الفن والأدب واللغة والبلاغة ويطبع الناشئ على الملكة الصحيحة ويستحدث له ذوقاً في لغته ويقيم الكتب نفسها مقام العرب والرواة الذين كانوا هم أصل دولة البلاغة . (٣) تعليم العلوم كلها (الا علوم اللغات وآدابها) بالعربية وتعريب ما ليس فيها من ذلك ونشره ونشر الكتب العربية القيمة . (٤) أن تعمل الامة على انبات كتابها وشعرائها وأدبائها وتفريغهم للعمل الذي يسروا له وطرق ذلك معروفة . (٥) عناية الصحف الكبرى بلغتها وكتابتها وأساليبها فهي اليوم في الافق اللغوي كالهواء صحة او وباء وان تحفل بالادب وتبذل فيه ولا تخص السياسة دونه بشيء فهو سياسة ألسنتنا وقوميتنا وتاريخنا .

(٦) ايجاب حفظ القرآن او اكثره في المدارس ولو على المسلمين وحدهم مع درس الوجوه التي يؤدى بها تأدية صحيحة . وهذا وحده اساس متين ان لم نحكم البناء عليه فما اقرب ان يتداعى البناء كله وهناً وتراخياً والامر يومئذ لله

مصطفى صادق الرافعي

«مستهل»

وهو من اكابر علماء اللغة العربية

(١) عندنا أن مستقبل اللغة العربية حسن ، أحسن مما مضى عليها من الايام الماضية حتى اننا لنتفاءل بانها تعود الى حياة جديدة لم يعهد لها مثيل في التاريخ ، بل لتطاول أيام عزها في عصر العباسيين

(٢) تأثير التمدن الاوربي وروحه الغربي فيها من أحسن ما يكون ، بل ومن أحسن ما يمكن ؛ وذلك لان من امتزاج الواحد بالآخر تنشأ حياة جديدة شبيهة بحياة شجرة قديمة أخرجت شطأ حديثاً فركب عليه من غصن شجرة أخرى غضة فتولد من هذا التركيب شجرة جديدة الماء والاهاب والحياة ؛ ومن ثم جديدة الثمر ، بديع اللون ، زكي الرائحة ، لذيذ الذوق

(٣) يكون تأثير التطور السياسي الحاضر من قبيل تأثير اطلاق سراح أسير كان مقيداً باغلال وسلاسل ضخمة ، فأخذ بعد ذلك يسرح ويمرح ويتمتع بحريته التي لا قبل لها من حكام هذه الدنيا . فالعربية بعد هذا اليوم حرة لا مستعبد لها ولا مستأسر

(٤) نعم ان انتشارها في المدارس العالية وغير العالية لا بد منه وان كان هذا الامر يتطلب زمناً مديداً . واما ان جميع العلوم

تعلم بها فليس مانعاً لا نتشارها . وانما المانع ناشيء من القوة التي تتصرف في حياتها أو مماتها . والا فقول عجز اللغة عن تأدية المكتشفات العصرية والمستحدثات الكثيرة هو مانع عظيم في سبيل هذه الغاية هو قول فارغ لانه اذا صعب (ولا نقول امتنع) اتخاذ ألفاظ عربية جديدة تؤدي المعنى المطلوب فتعريب الاعجميات ونقلها الى العربية غير ضار بحيويتها . على اننا من حزب الذين يقولون بانه يمكن الناطقين بالضاد وضع كلم جديدة للاشياء الحديثة مهما اختلف نوعها ؛ الا انه يجب لتحقيق ما في الصدور التواطؤ والتساند ليس الا

(٥) ان اللغة الفصحى لا تتغلب على اللهجات العامية ابداً مهما اتخذ من الوسائل لقتلها لما فيها من نشاط الحياة اليومية ، وانما تكسر حدتها وتقلل من فسادها . لكن ينشأ في الديار العربية لغة واحدة أساسها اللغة الفصحى ولبابها اللفظ الفصيح المأنوس الاستعمال ، المألوف الصوت ، القصير المقاطع ، الحسن الوزن ، السهل المأخذ والتداول

(٦) خير الوسائل لاحيائها هي المدارس والمطبوعات بانواعها وتشجيع المؤلفين بجوائز تعطى لهم أو يخصصها لهم اكارم العرب وأجاويدهم أو لا أقل من مساعدتهم بالمال ولو من وقت الى وقت . وحمل أهل العقد والحل على بثها ونشرها ، واذا امكن عقد مجمع لغوي مؤلفة أعضاؤه من علماء مختلف الديار العربية فهذا من أقوى

الوسائل لاحيائها ؛ لكن أنفع تلك الوسائل هي المدارس والمطبوعت وان لم يكن مجمع وذلك لاننا رأينا اللغتين اليونانية والارمنية انتشرتا بسرعة غريبة وعادتا الى حياة جديدة بفتح المدارس الاهلية وتعميم المؤلفات وليس لها مجمع لغوي . ونشاهد هـذا أيضاً في لغتنا لاننا اذا قابلنا ما كانت عليه قبـل مائة سنة بما هي عليه الآن حكمنا أن مستقبل لغتنا زاهر لا محالة « مستهل »

جبران خليل جبران

نابغة المهجر

(١) ما هو مستقبل اللغة العربية ؟

انما اللغة مظهر من مظاهر قوة الابتكار في مجموع الامة ، أو ذاتها العامة ، فاذا هجعت قوة الابتكار توقفت اللغة عن مسيرها ، وفي الوقوف التقهقر وفي التقهقر الموت والاندثار

اذاً فمستقبل اللغة العربية يتوقف على مستقبل الفكر المبدع الكائن — او غير الكائن — في مجموع الامم التي تتكلم اللغة العربية . فان كان ذلك الفكر موجوداً كان مستقبل اللغة عظيماً كماضيها وان كان غير موجود فمستقبلها سيكون كحاضر شقيقتيها السريانية والعبرانية

وما هذه القوة التي ندعوها بقوة الابتكار ؟

هي في الامة عزم دافع الى الامام . هي في قلبها جوع وعطش وشوق الى غير المعروف ، وهي في روحها سلسلة احلام تسعى الى تحقيقها ليلا نهاراً ولكنها لا تحقق حلقة من احد طرفيها الا اضافت الحياة حلقة جديدة في الطرف الآخر . هي في الافراد النبوغ وفي الجماعة الحماسة ، وما النبوغ في الافراد سوى المقدرة على

وضع ميول الجماعة الخفية في اشكال ظاهرة محسوسة . ففي الجاهلية كان الشاعر يتأهب لان العرب كانوا في حالة التأهب ، وكان ينمو ويتمدد أيام المخضرمين لان العرب كانوا في حالة النمو والتمدد ، وكان يتشعب أيام المولدين لان الامة الاسلامية كانت في حالة التشعب . وظل الشاعر يتدرج ويتصاعد ويتلون فيظهر آناً كفيلسوف ، وآونة كطبيب ، وأخرى كفلكي حتى راود النعاس قوة الابتكار في الامم العربية فنامت وبنومها تحول الشعراء الى ناظمين والفلاسفة الى كلاميين والاطباء الى دجالين والفلكيون الى منجمين

اذا صح ما تقدم كان مستقبل اللغة العربية رهن قوة الابتكار في مجموع الامم التي تتكلمها ، فان كان لتلك الامم ذات خاصة (أو وحدة معنوية) وكانت قوة الابتكار في تلك الذات قد استيقظت بعد نومها الطويل كان مستقبل اللغة العربية عظيما كماضيها — والا فلا

* * *

(٢) وما عسى أن يكون تأثير التمدين الاوربي والروح الغربية فيها ؟

انما (التأثير) شكل من الطعام تتناوله اللغة من خارجها فتمضغه وتبتلعه وتحول الصالح منه الى كيانها الحي كما تحول الشجرة النور والهواء وعناصر التراب الى افنان فأوراق فأزهار فأثمار .

ولكن اذا كانت اللغة بدون أضراس تقضم ولا معدة تهضم فالطعام يذهب سدىً بل ينقلب سماً قاتلا : وكم من شجرة تحتال على الحياة وهي في الظل فاذا ما نقلت الى نور الشمس ذبلت وماتت وقد جاء « مَن له يُعطى ويزاد ومَن ليس له يؤخذ منه »

وأما الروح الغربية فهي دور من أدوار الانسان وفصل من فصول حياته . وحياة الانسان موكب هائل يسير دائماً الى الامام ، ومن ذلك الغبار الذهبي المتصاعد من جوانب طريقه تتكوَّن اللغات والحكومات والمذاهب : فالامم التي تسير في مقدمة هذا الموكب هي المبتكرة ، والمبتكر مؤثر ، والامم التي تمشي في مؤخرته هي المقلدة ، والمقلد يتأثر ؛ فلما كان الشرقيون سابقين والغربيون لاحقين كان لمدنيتنا التأثير العظيم على لغاتهم ، وها قد أصبحوا هم السابقين وأمسينا نحن اللاحقين فصارت مدنيتهم بحكم الطبع ذات تأثير عظيم على لغتنا وأفكارنا وأخلاقنا

بيد أن الغربيين كانوا في الماضي يتناولون ما نطبخه فيمضغونه ويبتلعونه محولين الصالح منه الى كيانهم الغربي ، أما الشرقيون في الوقت الحاضر فيتناولون ما يطبخه الغربيون ويبتلعونه ولكنه لا يتحول الى كيانهم الشرقي بل يحولهم الى شبه غربيين ، وهي حالة أخشاها وأتبرم منها لانها تبين لي الشرق تارة كعجوز فقد أضراسه وطوراً كطفل بدون أضراس ؟

ان روح الغرب صديق وعدو لنا . صديق اذا تمكنا منه وعدو اذا تمكن منا ؛ صديق اذا فتحنا له قلوبنا وعدو اذا وهبناه قلوبنا ؛ صديق اذا أخذنا منه ما يوافقنا وعدو اذا وضعنا نفوسنا في الحالة التي توافقه

* * *

(٣) وما يكون تأثير التطور السياسي الحاضر في الاقطار العربية ؟

قد أجمع الكتاب والمفكرون في الغرب والشرق على ان الاقطار العربية في حالة التشويش السياسي والاداري والنفسي . ولقد اتفق أكثرهم على ان التشويش مجلبة الخراب والاضمحلال

اما أنا فاسأل — هل هو تشويش أم ملل ؟

ان كان مللا فالملل نهاية كل أمة وخاتمة كل شعب — الملل هو الاحتضار في صورة النعاس والموت في شكل النوم

وان كان بالحقيقة تشويشاً فالتشويش في شرعي ينفع دائماً لانه يبين ما كان خافياً في روح الامة ويبدل نشوتها بالصحو وغيبوبتها باليقظة ونظير عاصفة تهز بعزمها الاشجار لا لتقتلعها بل لتكسر أغصانها اليابسة وتبعثر أوراقها الصفراء . واذا ما ظهر التشويش في أمة لم تزل على شيء من الفطرة فهو أوضح دليل على وجود قوة الابتكار في افرادها والاستعداد في مجموعها . . انما السديم أول

كلمة من كتاب الحياة وليس بآخر كلمة منها ، وما السديم سوى حياة مشوشة

اذاً فتأثير التطور السياسي سيحول ما في الاقطار العربية من التشويش الى نظام ، وما في داخلها من الغموض والاشكال الى ترتيب والفة ، ولكنه لا ولن يبدل مالها بالوجد وضجرها بالحماسة : ان الخزّاف يستطيع ان يصنع من الطين جرة للخمر أو للخل ولكنه لا يقدر أن يصنع شيئاً من الرمل والحصى

* * *

(٤) هل يعم انتشار اللغة العربية في المدارس العاليـة وغير العالية وتعلم بها جميع العلوم ؟

لا يعم انتشار اللغة العربية في المدارس العالية وغير العالية حتى تصبح تلك المدارس ذات صبغة وطنية مجردة ، ولن تعلم بها جميع العلوم حتى تنتقل المدارس من أيدي الجمعيات الخيرية واللجان الطائفية والبعثات الدينية الى أيدي الحكومات المحلية

ففي سوريا مثلا كان التعليم يأتينا من الغرب بشكل الصدقة ، وقد كنا ولم نزل نلتهم خبز الصدقة لاننا جياع متضورون ، ولقـد أحيانا ذلك الخبز ، ولما أحيانا اماتنا . أحيانا لانه أيقظ بعض مداركنا ونبه عقولنا قليلا ، وأماتنا لانه فرق كلمتنا وأضعف وحدتنا وقطع روابطنا وأبعد ما بين طوائفنا حتى أصبحت بلادنا مجموعة مستعمرات صغيرة ومختلفة الاذواق متضاربة المشارب كل

نفعنا لا الضرر بنا . ولكن كيف تولد ذلك الشوك ومن أين أتى ذلك الحسك ؟ هذا بحث آخر أتركه الى فرصة اخرى

نعم سوف يعم انتشار اللغة العربية في المدارس العالية وغير العالية وتعلم بها جميع العلوم فتتوحد ميولنا السياسية وتتبلور منازعها القومية لان في المدرسة تتوحد الميول وفي المدرسة تتجوهر المنازع ، ولكن لا يتم هذا حتى يصير بامكاننا تعليم الناشئة على نفقة الامة . لا يتم هذا حتى يصير الواحد منا ابناً لوطن واحد بدلاً من وطنين متناقضين أحدهما لجسده والآخر لروحه . لا يتم هذا حتى نستبدل خبز الصدقة بخبز معجون في بيتنا ؛ لان المتسول المحتاج لا يستطيع أن يشترط على المتصدق الاريحي . ومن يضع نفسه في منزلة الموهوب لا يستطيع معارضة الواهب ، فالموهوب مسير دائماً والواهب مخير أبداً

* * *

(٦) وهل تتغلب (اللغة العربية الفصحى) على اللهجات العامية المختلفة وتوحدها ؟

ان اللهجات العامية تتحور وتتهذب ويدلك الخشن فيها فيلين ولكنها لا ولن تغلب ـ ويجب ألا تغلب ـ لانها مصدر ما ندعوه فصيحاً من الكلام ومنبت ما نعده بليغاً من البيان

ان اللغات تتبع مثل كل شيء آخر سنة بقاء الانسب ، وفي اللهجات العامية الشيء الكثير من الأنسب الذي سيبقى لانه

مستعمرة منها تشد في حبل احدى الامم الغربية وترفع لواءها وتترنم بمحاسنها وامجادها . فالشاب الذي تناول لقمة من العلم في مدرسة أميركية قد تحول بالطبع الى معتمد أميركي ، والشاب الذي تجرع رشفة من العلم في مدرسة يسوعية صار سفيراً افرنسياً ، والشاب الذي لبس قميصاً من نسيج مدرسة روسية أصبح ممثلا لروسيا . . الى آخر ما هناك من المدارس وما تخرجه في كل عام من الممثلين والمعتمدين والسفراء . وأعظم دليل على ما تقدم اختلاف الآراء وتباين المنازع في الوقت الحاضر في مستقبل سوريا السياسي . فالذين درسوا بعض العلوم باللغة الانكليزية يريدون أميركا وانكلترا وصية على بلادهم ، والذين درسوها باللغة الافرنسية يطلبون فرنسا أن تتولى أمرهم ، والذين لم يدرسوا بهذه اللغة أو بتلك لا يريدون هذه الدولة ولا تلك بل يتبعون سياسة أدنى الى معارفهم وأقرب الى مداركهم

وقد يكون ميلنا السياسي الى الامة التي تتعلم على نفقتها دليلا على عاطفة عرفان الجميل في نفوس الشرقيين ، ولكن ما هذه العاطفة التي تبني حجراً من جهة واحدة وتهدم جداراً من الجهة الأخرى ؟ ما هذه العاطفة التي تستنبت زهرة وتقتلع غابة ؟ ما هذه العاطفة التي تحيينا يوماً وتميتنا دهراً ؟

ان المحسنين الحقيقيين وأصحاب الاريحية في الغرب لم يضعوا لشوك والحسك في الخبز الذي بعثوا به الينا ، فهم بالطبع قد حاولوا

أقرب الى فكرة الامة وأدنى الى مرامي ذاتها العامة : قلت انه سيبقى وأعني بذلك انه سيلتحم بجسم اللغة ويصير جزءاً من مجموعها

لكل لغة من لغات الغرب لهجات عامية ، ولتلك اللهجات مظاهر أدبية وفنية لا تخلو من الجميل المرغوب والجديد المبتكر ، بل في اوربا واميركا طائفة من الشعراء الموهوبين الذين تمكنوا من التوفيق بين العامي والفصيح في قصائدهم وموشحاتهم فجاءت بليغة ومؤثرة : وعندي أن في الموالي والزجل و« العتابا » و« المعنّى » من الكنايات المستجدة والاستعارات المستملحة والتعابير الرشيقة المستنبطة ما لو وضعناه بجانب تلك القصائد المنظومة بلغة فصيحة ، والتي تملأ جرائدنا ومجلاتنا ، لبانت كباقة من الرياحين بقرب رابية من الحطب ، او كسرب من الصبايا الراقصات المترنمات قبالة مجموعة الجثث المحنطة

لقد كانت اللغة الايطاليــة الحديثة لهجة عامية في القرون المتوسطة ، وكان الخاصة يدعونها بلغة « الهمج » ، ولكن لما نظم بها دانتي وبترارك وكامونس وفرنسيس داسيزي قصائدهم وموشحاتهم الخالدة أصبحت تلك اللهجة لغة ايطاليا الفصحى وصارت اللاتينية بعد ذلك هيكلا يسير ولكن في نعش على أكتاف الرجعيين . . وليست اللهجات العامية في مصر وسوريا والعراق أبعد عن لغة المعري والمتنبي من لهجة « الهمج » الايطالية عن لغة اوفيدي وفرجيل . فاذا ما ظهر في الشرق الأدنى عظيم ووضع كتاباً عظيماً

في احدى تلك اللهجات تحولت هذه الى لغة فصحى . بيد أني استبعد حدوث ذلك في الاقطار العربية لان الشرقيين أشد ميلا الى الماضي منهم الى الحاضر أو المستقبل ، فهم المحافظون على معرفة منهم أو على غير معرفة ، فان قام كبير بينهم لزم في اظهار مواهبه السبل البيانية التي سار عليها الاقدمون ، وما سبل الاقدمين سوى اقصر الطرقات بين مهد الفكر ولحده

* * *

(٧) ما هي خير الوسائل لاحياء اللغة العربية ؟

ان خير الوسائل ، بل الوسيلة الوحيدة لاحياء اللغة هي في قلب الشاعر وعلى شفتيه وبين أصابعه ، فالشاعر هو الوسيط بين قوة الابتكار والبشر ، وهو السلك الذي ينقل ما يحدثه عالم النفس الى عالم البحث ، وما يقرره عالم الفكر الى عالم الحفظ والتدوين

الشاعر أبو اللغة وأمها ، تسير حيثما يسير وتربض أينما يربض ، واذا ما قضى جلست على قبره باكية منتحبة حتى يمر بها شاعر اخر ويأخذ بيدها

واذا كان الشاعر أبو اللغة وأمها فالمقلد ناسج كفنها وحفار قبرها

أعني بالشاعر كل مخترع كبيراً كان أو صغيراً ، وكل مكتشف قوياً كان أو ضعيفاً ، وكل مختلق عظيما كان أو حقيراً ، وكل محب للحياة المجردة اماماً كان أو صعلوكا ، وكل من يقف متهيباً أمام الايام والليالي فيلسوفاً كان أو ناطوراً للكروم

اما المقلد فهو الذي لا يكتشف شيئاً ولا يختلق أمراً بل يستمد حياته النفسية من معاصريه ويصنع أثوابه المعنوية من رقع يجزها من أثواب من تقدمه

أعني بالشاعر ذلك الزارع الذي يفلح حقله بمحراث يختلف ولو قليلاً عن المحراث الذي ورثه عن أبيه فيجيء بعده من يدعو المحراث الجديد باسم جديد ؛ وذلك البستاني الذي يستنبت بين الزهرة الصفراء والزهرة الحمراء زهرة ثالثة برتقالية اللون فيأتي بعده من يدعو الزهرة الجديدة باسم جديد ؛ وذلك الحائك الذي ينسج على نوله نسيجاً ذا رسوم وخطوط تختلف عن الاقمشة التي يصنعها جيرانه الحائكون فيقوم بعده من يدعو نسيجه هذا باسم جديد . أعني بالشاعر الملاّح الذي يرفع لسفينة ذات شراعين شراعاً ثالثاً ، والبناء الذي يبني بيتاً ذا بابين ونافذتين بين بيوت كلها ذات باب واحد ونافذة واحدة ، والصباغ الذي يمزج الالوان التي لم يمزجها أحد قبله فيستخرج لوناً جديداً ، فيأتي بعد الملاّح والبناء والصباغ من يدعو ثمار أعمالهم بأسماء جديدة فيضيف بذلك شراعاً الى سفينة اللغة ونافذة الى بيت اللغة ولوناً الى ثوب اللغة

أما المقلد فهو ذلك الذي يسير من مكان الى مكان على الطريق التي سار عليها الف قافلة وقافلة ولا يحيد عنها مخافة أن يتيه ويضيع ، ذلك الذي يتبع بمعيشته وكسب رزقه ومأكله ومشربه وملبسه تلك السبل المطروقة التي مشى عليها الف جيل وجيل فتظل حياته كرجع

الصدى ويبقى كيانه كظل ضئيل لحقيقة قصية لا يعرف عنها شيئاً ولا يريد أن يعرف

أعني بالشاعر ذلك المتعبد الذي يدخل هيكل نفسه فيجثو باكياً فرحاً نادباً مهللاً مصغياً مناجياً ثم يخرج وبين شفتيه ولسانه أسماء وأفعال وحروف واشتقاقات جديدة لاشكال عبادته التي تتجدد في كل يوم وأنواع انجذابه التي تتغير في كل ليلة فيضيف بعمله هذا وتراً فضياً الى قيثارة اللغة وعوداً طيباً الى موقدها

أما المقلد فهو الذي يردد صلاة المصلين وابتهال المبتهلين بدون ارادة ولا عاطفة فيترك اللغة حيث يجدها والبيان الشخصي حيث لا بيان ولا شخصية

أعني بالشاعر ذاك الذي ان احب امرأة انفردت روحه وتنحت عن سبل البشر لتلبس أحلامها أجساداً من بهجة النهار وهول الليل وولولة العواصف وسكينة الاودية ثم عادت لتضفر من اختباراتها اكليلا لرأس اللغة وتصوغ من اقتناعها قلادة لعنق اللغة

أما المقلد فمقلد حتى في حبـه وغزله وتشبيبه فان ذكر وجه حبيبته وعنقها قال « بدر وغزال » وان خطر على باله شعرها وقدها ولحظها قال « ليل وغصن بانٍ وسهام » وان شكى قال « جفنٌ ساهرٌ وفجرٌ بعيد وعزولٌ قريب » وان شاء أن يأتي بمعجزة بيانية قال « حبيبتي تستمطر لؤلؤ الدمع من نرجس العيون لتسقي ورد الخدود وتعض على عناب أناملها ببرد أسنانها » . يترنم صاحبنا الببغاء

بهذه الاغنية العتيقة وهو لا يدري انه يسمم ببلادته دسم اللغة ويمتهن بسخافته وابتذاله شرفها ونبالتها

قد تكلمت عن المستنبط ونفعه والعقيم وضرره ولم اذكر أولئك الذين يصرفون حياتهم بوضع القواميس وتأليف المطولات وتشكيل المجامع اللغوية – لم أقل كلمة عن هؤلاء لاعتقادي بانهم كالشاطيء بين مد اللغة وجزرها وان وظيفتهم لا تتعدى حد الغربلة – والغربلة وظيفة حسنة ولكن ما عسى يغربل المغربلون اذا كانت قوة الابتكار في الامة لا تزرع غير الزوان ولا تحصد الا الهشيم ولا تجمع على بيادرها سوى الشوك والقطرب ؟

أقول ثانية ان حياة اللغة وتوحيدها وتعميمها وكل ما له علاقة بها قد كان وسيكون رهن خيال الشاعر فهل عندنا شعراء ؟

نعم عندنا شعراء ، وكل شرقي يستطيع أن يكون شاعراً في حقله وفي بستانه وامام نوله وفي معبده وفوق منبره وبجانب مكتبته. كل شرقي يستطيع ان يعتق نفسه من سجن التقليد والتقاليد ويخرج الى نور الشمس فيسير في موكب الحياة . كل شرقي يستطيع أن يستسلم الى قوة الابتكار المختبئة في روحه – تلك القوة الازلية الابدية التي تقيم من الحجارة أبناء لله

اما اولئك المنصرفون الى نظم مواهبهم ونثرها فلهم أقول : ليكن لكم من مقاصدكم الخصوصية مانعاً عن اقتفاء أثر المتقدمين فخير لكم وللغة العربية ان تبنوا كوخاً حقيراً من ذاتكم الوضعية

من أن تقيموا صرحاً شاهقاً من ذاتكم المقتبسة . ليكن لكم من عزة نفوسكم زاجراً عن نظم قصائد المديح والرثاء والتهنئة نخير لكم وللغة العربية أن تموتوا مهملين محتقرين من أن تحرقوا قلوبكم بخوراً أمام الانصاب والاصنام . ليكن لكم من حماستكم القومية دافعاً الى تصوير الحياة الشرقية بما فيها من غرائب الالم وعجائب الفرح نخير لكم وللغة العربية أن تتناولوا ابسط ما يتمثل لكم من الحوادث في محيطكم وتلبسوها حلة من خيالكم من أن تعربوا أجل وأجمل ما كتبه الغربيون

جبران خليل جبران

انطون الجميّل

منشىء الزهور

مستقبل اللغة العربية مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمستقبل السياسي والعمراني للاقوام الذين يتكلمون بها

أما من الوجهة السياسية فمعروف أن لا قيام للغة الا بقيام دولة تؤيدها وتأخذ بناصرها . وعلى قدر ما يكون نفوذ الدولة وبسطة أملاكها ونمو عمرانها بين الدول ، يكون مقام لغتها بين اللغات : هكذا كان شأن اليونانية في عصر أبطال الاغريق ، واللاتينية على عهد قيصر ، والعربية في زمن بني العباس ، والفرنسوية في عصر لويس الرابع عشر ، والانكليزية في أيامنا هذه ، حتى ان مؤتمر الصلح الاخير قد أحلّ هذه اللغة الى جانب اللغة الفرنسوية في مفاوضاته وقراراته . وقد احتج بعض النواب في الندوة الفرنسوية على ذلك فاجاب مسيو كليمنسو في جلسة ٢٦ سبتمبر الماضي بما فيه الكفاية لتبرير ادخال الانكليزية الى جانب الفرنسوية كلغة رسمية

بل ان اللغة العربية نفسها لم تجد موئلاً لها في القرن الغابر وأول القرن الحاضر غير القطر المصري ، حتى امّه حملة الاقلام وأرباب النهضة الفكرية من كل الاقطار الشرقية وما ذلك الا لان مصر كانت اوسع الاقطار العربية استقلالا وأبسطها جاهاً

أما من الوجهة العمرانية فلا يخفى أن الفائدة من أكبر البواعث على تعلم لغة من اللغات . وقد رأينا ان وجود العساكر البريطانية في مصر واقبالها على معاملة الناس في البيع والشراء مدة سنوات قليلة كان ادعى الى انتشار الانكليزية في وادي النيل من سعي المحتلين مدة ثلث قرن لنشر لغتهم في هذه الربوع . فأصبحنا نسمع الباعة والاولاد في الشوارع ينادون على سلعهم بكلام هو خليط من العربية والانكليزية مثل «الفايف بالهاف يا متشز» أي : خمس علب بنصف قرش يا كبريت ! وما أشبه ذلك . حتى صار بائع الجرائد وماسح الاحذية أجرأ على الكلام بالانكليزية من الذين درسوها

وعليه فاذا أتيح للاقوام الناطقين بالضاد النجاح في قضيتهم السياسية وأتيح لهم بعد ذلك تعمير بلادهم وانهاض زراعتها وصناعتها وترويج تجارتها فيكون للغة العربية مستقبل زاه زاهر لا سيما وان الذين يعرفونها — أو يجب ان يعرفوها — لا يقلون عن ثلاثمئة مليون ، والا فاننا نعتقد — وقد نكون مخطئين — ان مصير اللغة العربية حتى في العواصم العربية هو ما صارت اليه بين مسلمي الهند فتصبح لغة الكتب المقدسة كالسريانية والعبرية واللاتينية

وفي هذا المجال لا يسعنا الا التنويه بفضل المهاجرين اللبنانيين والسوريين الى العالم الجديد فان عددهم يناهز نصف المليون في الامريكتين الشمالية والجنوبية . وقد عرفوا أن يحتفظوا بلغتهم

فنشروا بها الجرائد اليومية السياسية والمجلات الادبية العلمية حتى ان بعض صحفهم يعد من أرقى ما ينشر باللغة العربية

اما تأثير التمدين الاوربي الحديث فهو واقع لا محالة بسبب سهولة المواصلات وامتزاج الشعوب وارتباط مرافق البشر بعضها ببعض . لا بل قد بدت طلائع هذا التأثير في ربوع الشام ولبنان قبل سواها لانتشار المدارس الاجنبية فيها . وليس في ذلك ما يؤسف له اذا عرفنا كيف نستفيد من الاقوام التي نختلط بها . فان العصر الذي أقبل فيه كتّاب العرب على نقل مؤلفات اليونان والرومان والفرس كان العصر الذهبي للآداب العربية

أما اللهجات العامية فلا نعتقد باضمحلالها وتغلب اللغة الفصحى عليها . فهي موجودة حتى بين الاقوام الذين يقطنون اقليما أو صقعاً واحداً كجزر بريطانيا أو بلاد فرنسا حيث تختلف لهجة سكان الجنوب اختلافاً بيناً عن لهجة سكان الشمال . فما قولك بالناطقين بالضاد الضاربين في الجزيرة والعراق ومصر والسودان والشام وتونس والجزائر والمغرب الخ .

غير ان نشر اللغة الفصحى ونشر التعليم بين هذه الأقوام لما يعمل على ازالة الكثير من هذه الفوارق . فالطبقة الراقية في مصر مثلا اصبحت تتكلم ، بلا تكليف ولا تصنع ، لغة مضبوطة تكاد تكتب

ونختم هذه الافكار المتناثرة التي اجملناها ولم نفصلها لضيق

المقام بقولنا أن الشعب الذي يقع في الاسر اذا عرف أن يحتفظ بلغته فكأن مفتاح سجنه في يده يفلت منه متى شاء

فعلينا والحالة هــذه أن لا ننسى ان أساس كل نهضة قوميــة يجب أن يكون في المدرســة الصغيرة الابتدائية حيث ينبغي تعليم لغة البلاد وتاريخها

انطون الجميّــل

نقولا الحداد

الكاتب الاجتماعي المعروف

حرصاً على شرط الهلال الاغر في أن تكون الاجوبة موجزة لا تتجاوز صفحة منه أجمل رأيي ان صح لي رأي فيما يأتي :

١ — مستقبل اللغة العربية متوقف على ما يناله الناطقون بها من الاستقلال والحرية القومية فكلما اتسعت دائرة استقلالهم اتسعت دائرة التعليم الاهلي . والتعليم الاهلي يقضي حتماً بتعليم اللغة الوطنية. لان اللغة هي السائل الذي تتحلل فيه التصورات والافكار والقالب الذي تسبك فيه الاخلاق والعادات . وما من عامل طبيعي أو سبب منطقي يحمل القوم على العدول عن لغتهم وتكلم التفاهم بلغة اجنبية اللهم الا العامل القهري فهو ضعيف ومعدوم في حالة الاستقلال

والواقع ان الامم العربية سائرة في سبيل الاستقلال القومي كسائر الامم لان وجهة الهيئة الاجتماعية الطبيعية استقلال كل جماعة ذات وحدة قائمة بنفسها وتحالف هذه الجماعات . وقد يكون السير في هذا السبيل بطيئاً ولكنه حتمي طبيعي

٢ — وأما التمدن الاوربي والروح الغربية فسيقضيان بتطور اللغة العربية تطوراً يبعد أساليب التعبير فيها عن أساليب التعبير القديمة بمقتضى ما تتناوله العقول الشرقية من التصورات الغربية وما

تستلزمه المعاني والأشياء المستجدة من نحت الالفاظ اللائقة للتعبير عنها . ولا بد أن يكون هذا النحت ارتجالا بغير اتفاق مدة غير معينة الى أن يقيد بنظام اجتماعي في مجمع لغوي . واللغة العربية مرنة ولينة وغنية بالمواد فلا يتعذر تكييفها بحسب تأثيرات التمدين الاوربي والروح الغربية . واما ان هذا التأثير حتمي فلأن التمدين الاوربي هو السائر في المقدمة في سبيل التطور الاجتماعي العام . ولا مناص للامم الشرقية من السير وراء اوربا في هذا السبيل لانها وهي ضعيفة بازاء اوربا يتعذر عليها أن تستنبط مدنية اخرى تجر بها العالم وراءها

٣ ـ تستنتج الفتوى على السؤال الثالث مما تقدم

٤ ـ من الفتوى على السؤال الأول يلزم حتماً أن تنتشر اللغة العربية في المدارس كلها وان تعلم بها العلوم . وانتشارها على هذا النحو يفتح باباً واسعاً للمطبوعات العربية وبالتالي يعظم عدد قرائها وترتقي صناعة القلم جداً

٥ ـ متى صارت العربية لغة التعليم وعمّ التعليم الاهلي الامة كلها تغلبت اللغة الفصحى على اللهجة العامية بحكم الطبع . ترى الشاهد على ذلك الآن في كلام المتعلمين والطلبة فان كلامهم يبتعد عن العامي ويقرب الى الفصيح

٦ ـ أما احياء الامة فلا يتعمّل تعمُّلا بوسيلة صناعية لان وسيلته طبيعية وهي ما تقدم قوله من استقلال الامة الذي يفضي

الى استقلال التعليم الاهلي . واستقلال التعليم يقضي باستعمال اللغة الوطنية فيه . فحياة اللغة موقوفة على احياء الامة بروح الحرية والاستقلال

فالى الاستقلال !

نقولا الحداد

امين واصف بك

صاحب التآليف الادبية والفلسفية

كان يخشى على اللغة العربية فيما لو وقع الشرق في الاستعمار الاوربي قبل اليوم . أما في القرن العشرين وما بعده فلا خوف عليها بل لكل أن يقدر لها مستقبلاً زاهراً

بقيت دولة الترك حامية للشرق من كل اغارة أجنبية عليه وبالشعور الديني بقيت اللغة العربية حية تحت كنفها ورعايتها بالرغم من جمود أهلها واستنامتهم

ظلت تحت رعايتها وسيوفها الى أن استنارت العقول واستيقظ بعض امم الشرق وأعني الطوائف النصرانية اذ دخل العلم الشرق على أيدي الرهبان . فأحجم المسلمون بادىء بدء وأقدم النصارى وازدادوا بسطة في العلم والأدب العصري وأنشأوا الجرائد والمجلات محاكاة للغربيين وترجموا الى العربية طائفة صالحة من مصنفات الفرنج في العلم والتاريخ والأدب . وكان قد ظهر من قبل محمد علي الكبير وشغف بالحضارة الاوربية فأسس المدارس بالديار المصرية وأرسل البعثات العلمية الى اوربا . ولقيام هذه النهضة ازدادت العناية باللغة العربية فرقيت وتهذبت حتى صارت لغة اليوم

لغة اليوم لغة وسط بين العربية الوحشية والعربية العامية بمعنى

ان أهل العصور الاخيرة نبت اسماعهم عن الألفاظ الوحشية المهجورة التي لا نجد أثرها في غير كتب الأدب القديمة . ومالوا الى اللغة السهلة المفهومة والالفاظ المقبولة المصقولة . أعني نزلوا بالفصحى قليلاً ورفعوا العامية كثيراً . فكانت لغة الجرائد والمجلات . وهي لغة اليوم ولغة المستقبل كذلك

واللغة العربية لغة صالحة للعلم ولا ينكر صلاحيتها الا أهل السياسة . وهذه مصنفات أهل العصر لم نجد من يشكو فقرها الا من حيث حاجتها الى مجمع لغوي لاختيار مصطلحات العلوم والفنون والصناعات . وهو امر سهل في اللغة بطريق المجاز والاشتقاق والنحت والتعريب . فلا جناح أن يعرب اللفظ الاعجمي كما يفعل أهل اوربا بلغاتهم . وكما فعل من سبقنا من أهل العربية . فقالوا : الابريق والطشت والطبق والياقوت والبلور وكلها فارسية . والفردوس والبستان والقسطاس والقنطار والقنطرة وكلها رومية

ان من أكبر العوامل في ترقية اللغة العربية اليوم ذلك الشباب النشيط الذين يعملون على نقل الأدب الغربي الى العربية أمثال شكري والمازني والسباعي . فان هؤلاء الأدباء قوة أدبية كبرى دافعة بنا الى الامام . دافعة بنا الى انقلاب عظيم بما ينقلونه من أساليب التفكير وطرائق التعبير التي ابتكرها فحول كتّاب العرب

أما مستقبل اللغة العربية فضمانه وطريقه انتشار المطابع والجرائد

والمجلات (على الاخص) ونمو الشعور العام بالمصلحة القومية بدرجة عظيمة

والامم تسير نحو الرقي بخطوات متناسبة مع درجة كمالها في الوجود السياسي فاذا عرضت لها حرب أصابت جسم الانسانية منها صدمة يضطرب لها مجموعها العصبي فما نراها بعد الا وقد تغيرت أمورها وتبدلت أحوالها وتهيأت لقبول ما لم تقبله قبلا . وخلعت من عاداتها ما أعجز أطباء الاجتماع قروناً عديدة

وسترى من الشرق بسبب هذه الحرب الضروس حركة ونقطة تعيد مجده القديم عما قريب ان شاء الله

امين واصف

ابراهيم حلمي العمر

صاحب جريدة المفيد البغدادية

ما اللغة لا عنوان رقي الشعب فان كان متأخراً كانت متأخرة وان كان متقدماً كانت متقدمة ، ومستقبلها لا يقاس الا بمستقبله فاذا كانت اللغة الفرنسوية حية بحياة الفرنسيس واللغة الانكليزية راقية برقي الانكليز فكذلك اللغة العربية تحيا بحياة العرب وتموت بموتهم وتتقدم بتقدمهم وتزهو بزهوهم وتعلو بعلائهم . وهذه قاعدة جرت عليها اليونانية فكانت كما كان اليونان ، واللاتينية فاصابها ما أصاب اللاتين . وقد تتغير اللغات بتغير أقوامها وشعوبها وتتلون بألوانهم وتلبس لباسهم فتكون منتصرة فائزة بانتصار المتكلمين بها على غيرهم وخاسرة خاضعة بخضوع ابنائها للامم الفاتحة والشعوب الظافرة

لما كان العرب فاتحين قابضين على زمام السيادة والسياسة والعلم على عهد العباسيين في بغداد كانت تعابيرها وكلماتها وكثير من مصطلحاتها متغلغلة بين ألسنة الفرس والترك والهنود وهم أقرب الشعوب الى بغداد من حيث الصلة الجغرافية والادبية والدينية كما كانت مفرداتها شائعة في ايطاليا وصقلية على عهد الفاطميين والادارسة وبني تغلب في برقة وفاس والقيروان والقاهرة

وقد نفذت مصطلحاتها العامية في قلب اللغة الفرنسوية والاسبانية لما كان العرب ذوي الحول والطول في الاندلس . وليس شيوع المفردات العربية في اللغات الفارسية والتركية والايطالية والفرنسوية والانكليزية الى اليوم الا مثالاً من امثلة تأثير لغة الاقوياء على الضعفاء والمتقدمين على المتأخرين والغالبين على المغلوبين

ضعفت اللغة العربية بضعف العرب وسوف يقوى ساعدها وتبلغ اوج مجدها وكمالها بمقدار ما يناله العرب من الحضارة والاستقلال السياسي والمالي والادبي وائن بدت آثار اللغة الفارسية والتركية في لهجات العراقيين والسوريين لاسباب سياسية فانما تبدو فيهم آثار الفرنسوية والانكليزية اليوم لاسباب مدنية واجتماعية وتجارية ولا تتغلب اللغة العربية على هاتيك اللغات الا اذا انتصر شعبها على الممتزجين به والمتقربين اليه من الدخلاء سياسياً وادبياً واجتماعياً

ان اللغة العربية اليوم في مؤخرة اللغات الراقية وقد اضر بها المتمسكون بقشور القديم ، وبالكلمات الضخمة الجافة بمقدار ما أضرَّ بها المتفرنجون المقلدون القائلون بوجوب نشر الكلمات الاجنبية التي لا يوجد ما يقابلها في اللغة العربية وهذا التناقض الغريب الذي لم يقم بينهما رأي معتدل هو الذي جعل أغلب كتابنا يكتبون في السياسة والطب والصيدلة والفلسفة والاجتماع بلغة الادب بل بالاسلوب الذي كان يكتب فيه عبد الحميد الكاتب

وابن المقفع والصابي والهمداني اذا صح القياس من حيث ضخامة الالفاظ لا من حيث المتانة والسلاسة والانسجام في حين ان اللغة السياسية غير اللغة الادبية ، والاجتماعية ، وان لكل علم من العلوم لغة خاصة به وتعابير لا يجوز استعمالها في غير ما وضعت له

صعب جداً ان نحكم على مستقبل اللغة العربية وكذلك صعب ان نحكم على مستقبل العرب فهو مظلم قاتم اذ رأينا حالة العرب الحاضرة وملوك الطوائف التي قامت الآن بينهم مما ذكرنا بوصفاتهم في اواخر الدولة العباسية وازمنة انحطاطها ، وزاهر باهر اذا توسعنا في الخيال وقلنا ان ما يخسره الغرب يربحه الشرق ، وان عهد الانتقال بدأ يسير سيراً طبيعياً بعد الحرب العامة . ولكن كل ذلك ليس الا خيالاً في خيال ووهماً في أوهام اذ لم يقم عليه دليل يؤيده وبرهان يسنده ، بل اذا لم يبرز العربي كفاءة ومقدرة اكثر من كفاءته ومقدرته الحاضرة . ومتى تركنا الاثنين جانباً وحكمنا على اللغة بحاضرها جاز لنا القول بانها مهددة بالزوال والاضمحلال ولا يبعد ان تكون العربية لغة الدين مثل اللاتينية والسريانية واليونانية بعد ان كانت لغة العلم والسياسة والادب

اي دليل على ضعف اللغة العربية اقوى من ان العربي المصري يتكلم بلغة يكاد لا يفهمها العربي السوري والعراقي ، وان الجزائري او التونسي يتكلم بلهجة هي أقرب الى الفرنسوية منها الى لغة قحطان ؟ واي عاقل يقول بنهوض لغة العرب في المستقبل اذا لم

تتغير الحال وهو يرى ان أكثر من نصف بلاد العراق يتكلم بعضها بالتركية كخانقين ويعقوباء وكركوك وبعضها بالفارسية مثل النجف وكربلاء والكاظمية وبعضها بالكردية في مدينة السليمانية والعمادية وسنجار . وان عدداً كبيراً من سكان ولاية حلب يستعملون لغة الترك في شؤونهم ومرافقهم كما في كلس وعينتاب ومرعش ، وان ديار بكر وقد كانت عربية قبلاً هي اليوم كردية او ارمنية أكثر منها عربية ، وان بيروت زهرة بلاد العرب يترفع فيها المتعلم من النطق بلغته ليختار الانكليزية او الفرنسوية دونها ، وان العربي الصميم يكاد يكون في حاجة الى ترجمان في مراكش وتونس اذا ما رام السياحة في أكنافها واطرافها ؟ ان هذا لعمري بلاء ليس وراءه بلاء ، وطامة ليس اعظم منها طامة !

ما دام في العرب من يقول بوجوب قراءة مقامات الحريري واشباهها في العصر العشرين ، ومن يستعمل الاضداد التي يجب ان لا يجوز استعمالها الا اذا استحال ايجاد كلمات أخرى تؤدي معنى المترادف ، وما دام فيهم من ينطق بكلمات ـ بونجور وبونسوار ، وقايم ، وتماشا ـ فان اللغة العربية لا تحيا ولو قامت في دمشق دولة آل مروان ، ولو بعث الرشيد من رمسه في بغداد . وليست بلية العرب بفقر لغتهم بل بعدم وجود رأي معتدل بين العاكفين على القديم والمولعين بالتقليد واذا انتصر هؤلاء على اولئك فانما يؤدي

هذا الانتصار الى الخروج من عربية بدوية الى عربية اعجمية الى لغة خاصة لا عربية ولا افرنجية

ان بقاء الاحتلال الانكليزي في العراق ، والاحتلال الفرنسوي في سوريا لا يفيد اللغة العربية شيئاً بل يؤدي الى اضمحلالها لان المغلوب مولع بتقليد الغالب ، لانه يعتقد فيه الكمال فينحو منحاه ويعتنق مبدأه ويتعلم لغته ولذلك من العبث والخطل ان نظن بان اللغة العربية ستبرز الى الوجود بثوب قشيب ، لا باطار بالية ، وخير وسيلة لاحياء اللغة العربية ولو بقي العرب محكومين هو اتباع هذه الوصايا

١ً ــ اقامة سوق عكاظ جديدة في احدى المواسم العربية يلتئم فيها خلال فصل الربيع ويقدم الجوائز والهبات لكل مبرز وفائز في فن من الفنون العربية ، اي لمن ألقى أحسن خطبة ، وقال انفس قصيدة ، وكتب أبلغ مقالة ، وصنف انفع كتاب ، على ان تتبرع الحكومات والامارات العربية في تقديم هاتيك الجوائز احكاماً للصلة الادبية وتوحيداً للمساعي في نصرة الآداب وتنشيط المتأدبين

٢ً ــ انفاق أموال الاوقاف ــ وهي كثيرة ــ في انشاء مدارس عربية المبدأ ، واقامة جمعيات تنظر في نشر اللغة وتهذيبها ، لا انفاقها على مدارس الخمول والجمود

٣ً ــ حمل الدول المحتلة او المنتدبة ــ اذا كان مثل ذلك ــ

على استعمال اللغه العربية في جميع الشؤون الرسمية لا كما يجري اليوم في بيروت وبغداد تحبيباً للناشئة الى تعليمها واتقانها

٤ً ـ عقد مؤتمر لغوي يزيل من الوجود اغلب كتب النحو والصرف والبيان والبديع والادب الغليظ ، ويشطب من القواميس والمعاجم اكثر الكلمات المهجورة السمجة التي لا يستعملها اليوم غير المتشدقين والمتقعرين ، ويبتكر كلمات تعبر عن المخترعات الجديدة ، ويقاوم استعمال الكلمات المتضادة فلا تستعمل كلمة واحدة في معنيين متباينين

٥ً ـ امتناع المجلات والصحف عن نشر المقالات التي يكتبها اصحابها باسلوب عويص حتى يبرهنوا على تضلعهم في اللغة او التي يكتبونها بلغة ركيكة متفرنجة اعلاناً لتساهلهم وتقليدهم

٦ ـ مقاومة الشعر العامي كالزجل وغيره مقاومة شديدة واحتقار انصاره

٧ ـ تحسين الموسيقى العربية وهي أحسن طريقة لنشر اللغة الفصحى بين الطبقة العامة

٨ ـ انشاء جمعيات ادبية في بلاد العرب تكون على رأسها جمعية عليا في احدى مدن العرب كالقاهرة ودمشق وبغداد تكون مهمتها توحيد التعليم والتربية في جميع الاقطار العربية ولو كانت منفصلة سياسياً بعضها عن بعض

هذا مجمل ما يمكن ان يقال في هـذا الموضوع اذا لم يرزق العرب دولة مستقلة كما رزق اليونان دولتهم بعد اليأس والقنوط ، اما اذا تحققت الآمال والاماني — وهو ما نرجوه اليوم — فليس للعرب حينئذ الا اتباع الاساليب المحكمة التي اتبعها من سبقهم وتقدمهم . وفوق كل ذي علم عليم

ابراهيم حلمي العمر

الكتاب الثاني

نهضة الشرق العربي

وموقفه ازاء المدنية الغربية

موضوع الاستفتاء

١ ــ هل تعتقدون ان نهضة الاقطار العربية قائمة على أساس وطيد يضمن لها البقاء أم هي فوران وقتي لا يلبث ان يخمد ؟

٢ ــ هل تعتقدون بامكان تضامن هذه الاقطار وتآلفها . ومتى . وبأي العوامل . وما شأن اللغة في ذلك ؟

٣ ــ هل ينبغي لاهل الاقطار العربية اقتباس عناصر المدنية الغربية وبأي قدر وعند أي حد يجب ان يقف هذا الاقتباس :

ا ــ في النظامات السياسية الحديثة

ب ــ في الادب والشعر

ج ــ في العادات الاجتماعية

د ــ في التربية والتعليم

مخائيل نعيمه

العضو في « الرابطة القلمية »

لقد كثرت « نهضاتنا » في هذه الأيام وتعددت « حركاتنا » حتى لا تسمع الاّ بالناهضين ولا ترى الا القائمين بحركة ما . فهناك الحركة الوطنية والجنسية والسياسية . وهناك النهضة الأدبية والتهذيبية والاقتصادية . وكدت أنسى النسائية . وكثيراً ما سألت نفسي عماذا عسانا نعني بقولنا « نهضة » . أنقصد اننا كنا غافلين فاستفقنا . ام مستلقين على ظهورنا فانتصبنا . ام سائرين في مؤخرة موكب الحياة فاصبحنا في منتصفه او مقدمته ؟ وكيف لنا ، كلما خطونا خطوة ، أن نعرف هل خطونا الى الأمام ، ام الى الوراء ، ام بقينا حيث كنا ؟

لقد يحسب البعض مثل هذه الأسئلة ضرباً من البلاهة او البلادة . غير اني أسألهم بكل احترام ان يطلعوني على المقياس الذي يقيسون به « التقدم » لأطلعهم على رأيي في « نهضاتهم »

ان مسافراً خرج من بيته قاصداً محطة القطار فوصلها يعرف انه قد « تقدم » في رحلته ذراعاً او فرسخاً . فكيف لامة ان تعرف انها « تقدمت » في سيرها ؟ هل يتم لها ذلك اذا انتقلت من حكم اجنبي الى وطني . او من ملكي الى جمهوري . او اذا كانت لها

فتاوي

مدرسة واحدة فاصبحت لها مدارس . او معمل فغدت وعندها الف معمل . او طيارة او قطعة بحرية صغيرة فاصبحت وعندها طيارات وأساطيل لا تقهر ؟ وبعبارة اخرى ـ هل اذا بلغت الاقطار العربية يوماً شأن الولايات المتحدة او انكلترا او فرنسا او اليابان نحسب انها « تقدمت » ؟

اذا كان لما تعودنا ان ندعوه « رقياً » او تقدماً » من معنى فمعناه يجب ان يقاس بالسعادة الناتجة عنه . ولا مقياس للسعادة ، في نظري ، الا واحد . وهو مقدار التغلب على الخوف بكل أنواعه ـ خوف الموت وخوف الجوع والألم والفاقة والعبودية وكل ما هنالك من ضروب الخوف . لان التغلب على الخوف يولد تلك الطمأنينة الروحية التي لا سعادة بدونها . فاذا كانت المدنية الغربية ، كما نعرفها ، تساعد على استئصال الخوف اكثر من المدنية الشرقية فهي حرية بالحفظ والتقليد . وحريّ اذ ذاك بالشرق ان يتبين من الغرب برلماناته ومعاهده العلمية والمدنية وأن يتزيا بازيائه الأدبية وان لا يقف في تقليده عند حد

فلنقف هنيهةً ولنقابل بين المدنيتين لنرى هل المدنية الغربية حرية بان تتخذها الاقطار العربية قبلة لها

عندما أسأل نفسي عن الفرق بين الشرق والغرب أراه منحصراً في نقطة واحدة جوهرية . وهي أن الشرق يستسلم لقوة اكبر منه فلا يحاربها والغرب يعتقد بقوته ويحارب بها كل قوة

الشرق يرى الخليقة كاملة لانها صنع الاله الكامل . والغرب يرى فيها كثيراً من النقص ويسعى « لتحسينها »

الشرق يقول مع محمد : « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » . ويصلي مع عيسى : « لتكن مشيئتك » . ومع بوذه يجرد نفسه من كل شهواتها . ومع لاوتو يترفع عن كل الارضيات ليتحد بروحه مع « الطاو » او الروح الكبرى . اما الغرب فيقول : « لتكن مشيئتي » . واذ يخفق في مسعاه يعود اليه ثانية وثالثة ويبقى يعلل نفسه بالفوز . وعندما يدركه الموت يوصي بمطامحه لذريته

الشرق توهم مرة ان في امكانه الوصول الى عرش ربه . فبنى برج بابل . واذ هبط برجه اقرّ بضعفه وبجبروت خالقه وسلم . أما الغرب فيبني كل يوم برجاً . وكل يوم يهبط برجه . فيعود الى ترميمه مصمماً على ادراك كنه الوجود من تلقاء نفسه

الشرق يقول : « ولا غالب الا الله » . أما الغرب فيقول : « ولا غالب الا انا »

ان ادعاء الغرب بقوته واستسلام الشرق لقوة أكبر منه هما الحد الفاصل بينهما . وعندي ان في اقرار الشرق بضعفه تجاه قوى الموت والحياة غلبة له . وفي مكابرة الغرب بقواه ازاء قوى الموت والحياة انخذاله واندحاره . فما الغرب محاولا اصلاح الخليقة وفهم أسرارها الا كسمكة في بحر تحاول « تحسينه » والوقوف على مكنوناته

ان ما أدركه الشرق منذ اجيال بايمانه واختباراته الروحية يحاول الغرب اليوم أن يتوصل اليه بمكروسكوبه وتلسكوبه . ومن العبر انه كلما تعمق في درسه عاد الى الشرق ونفض عن بعض تعاليمه غبار الدهور وصقلها ثم عرضها على اخوانه كأنها حقائق جديدة . فهو ينقب في هذه الايام عن فلسفات الصين والهند واليهود والعرب والعجم ليجد فيها مفاتيح لما أقفل في وجهه من اسرار الوجود وعبثاً جرب ان يفتحه ببراهينه وتعاليله

هوذا عالم غربي كبير يدعى فلاماريون يترك النجوم التي قضى خيرة حياته في درس أسرارها ويكرس ثلاثين عاماً من عمره « ليبرهن » للغرب في ثلاثة مجلدات ضخمة عن ان الانسان مركب من روح وجسد . وان الجسد يتحول بالموت أما الروح فتبقى . وقس عليه السر وليم كروكس واولفر لودج وكونان دويل وسواهم . فاذا كان الغرب قد أدرك اليوم ، او أخذ يدرك ، هذه الحقيقة « بالبرهان » فالشرق قد عرفها منذ نعومة أظفاره بايمانه وقد شاد عليها ، وعلى سواها من الحقائق المنزلة ، بنيان حياته

قلت « الحقائق المنزلة » اذ ليس في نظري من حقائق سواها . فالانسان من تلقاء نفسه قاصر عن ادراك سر الوجود . وهذه الحقائق هي ميراث الشرق منذ ولادته . أما ما ندعوه في هذه الأيام « حقائق علمية » وتكيف معيشتنا بموجبه فليس الا ضرباً من التخمين نتلهى به من يوم الى يوم . فمن ميزات الحقيقة انها

حقيقة في كل زمان ومكان . أما الحقيقة التي نتزوجها اليوم ونطلقها في الغد فما تلك بحقيقة على الاطلاق وأكثر ما يقال فيها انها « تقدير معقول » لوقت محدود . وانها صالحة الى ان يظهر ما هو أصلح منها بالنسبة الى مداركنا . او ليست هذه حال الغرب مع علومه وعلمائه . وحالنا مع الغرب ؟

لو أخذت من المدنية الغربية ما استعارته من الشرق لتركتها لحداً مطلياً من الخارج بالذهب وفي الداخل محشواً عظاماً ودوداً . لو قلت للغرب يوماً : « ها انا سأجمع كل آثاركم الكتابية وأحرقها الا واحداً ، ولكم أن تختاروه » . فماذا ترى يختار الغرب ؟ يختار ، ولا شك ، الكتاب المقدس ! ولو فعلت ذلك بالعالم الاسلامي لاختار القرآن الشريف . فاذا كان أثمن آثار الغرب وأعزها هو هبة الشرق فكيف للشرق ان يمد يده الى الغرب مستعطياً ؟ وماذا عساه يستعطي سوى طيارات وقطارات ودواليب وأسلاك ولوالب ومدرعات وبرلمانات ومتاحف ومعاهد ومقاصف ومخدرات وعلل ومشاكل كثيرة ليست لتدنيه من كنه الحياة ولا لتعطيه طمأنينة روحية ليس ليحصل عليها بايمانه ؟ أما الثمن الذي يدفعه الى الغرب لقاء ما يستعيره منه او يستعطيه فعزة النفس وراحة الفكر والاعتراف العلني انه – وأعني الشرق – مزبلة العالم وان الغرب جنته الغنّاء

اذا كان ما نقصده « بنهضة » الاقطار العربية هو طموحها

الى مجاراة الامم الغربية في حلبة الاقتصاد والسياسة والسيطرة ومناهضتها بسلاحها فليس لهذه الأقطار الا أن تحذو حذو اليابان. وان تقتبس كل ما يمكنها اقتباسه من الغرب بدون تمييز وباسرع ما يمكن. غير اني لست اشتهي للاقطار العربية مثل هذه « النهضة ». وفي اعتقادي ان فرسخاً مربعاً من بلاد الصين « الخاملة » يحوي من الجوهر اكثر من كل جزائر اليابان « الناهضة »

ان الشرق لفي غنى عن اقتباس حرف واحد من المدنية الغربية. اذ ليس الاقتباس الا تقليداً. وكل من يقلد سواه لا يكون مخلصاً لنفسه. لانه يخفي حقيقته ليظهر بحقيقة سواه. وفي كل امة، مثلما في كل فرد، حقيقة كل جمالها في ان تظهر كما هي. لذاك لا أرى كيف يمكننا أن نقلد الغرب في أمر من الامور دون أن نخون أنفسنا ونمسخ الحقيقة التي فينا

لنأخذ الشعر مثلا. ما الشعر، ولا الأدب باسره، الا عواطفنا وأفكارنا منظومة أو منثورة. فاذا تحدينا في نظمها او نثرها الغربي فنحن ناظمون وناثرون عواطف وأفكاراً غير عواطفنا وأفكارنا. واذ ذاك لا شعرنا شعر ولا أدبنا أدب. وليس أقل قباحة من ذلك تقليدنا لابناء الجاهلية أو ما بعدها. فجمال الشعر انما هو اخلاصه في تصوير الحقيقة الكائنة في نفس الشاعر. وفي ذاك سر الابتكار والابداع

لقد قلت ما قلته في المدنيتين ـ الشرقية والغربية ـ وأنا عارف حق المعرفة ان المدنية الغربية ، وان تداعي بنيانها . لا تزال براقة غرّارة . وانها لن تهوي الى الحضيض قبل أن تشمل المعمور باسره. وان الأقطار العربية سيكون لها من هذه المدنية نصيب كبير قبل تلاشيها . لكنني احجم عن التكهن بمقدار ذاك النصيب وبوضع حدوده الزمانية والمكانية . تاركاً ذاك لمن ميزهم الله بمقدرة النبوءة

ليرشقني من شاء بقوله : « انه رجعي يعود بنا الى مجاهل الدين وخرافاته » . فما ذاك ليثنيني عن اعتقادي بان الشرق أقرب من الحقيقة بايمانه من الغرب بفكره وعلمه وبرهانه . وان الغرب المكابر بقواه ، ان لم يكن اشقى من الشرق المستسلم لقوى فوق قواه ، ليس أسعد منه ولا ارفع ولا أشرف . بل ان القائل من كل قلبه : « ولا غالب الا الله » لأحكم ، في نظري ، واكثر طمأنينة روحية من القائل : « ولا غالب الا انا » . وان لم يكن بد للواحد من التتلمذ للآخر فالغرب احوج الى مدرسة الشرق من الشرق الى مدرسة الغرب

نيويرك — ميخائيل نعيمه

سلامه موسى

١ ـ ليست نهضة الاقطار العربية قائمة على أساس وطيد لانها نهضة سياسية فقط وشرط النهضة أن تكون اجتماعية واقتصادية وأدبية . فلا يجب ان نرمي الى تغيير نظامنا الحكومي فحسب بل تغيير نظام العائلة واعتبارات الطبقات الاجتماعية وكذلك نظام الانتاج الاقتصادي حتى الاسلوب الكتابي يجب تغييره

وسبيل ذلك ايجاد نظام لزواج مدني يعاقب فيه من يتزوج أكثر من امرأة واحدة ويمنع الطلاق الا بحكم محكمة ويجيز زواج الافراد ولو اختلفوا ديناً . ثم يجب ادخال جميع الاصلاحات الاوربية التي رفعت حال العامل وغيرت علاقته برأس المال والسير في السبل الاشتراكية المعتدلة

ولكن الاصلاح نتيجة اختمار سابق تهيأ فيه العقول وخير تهيئة لعقول أبناء الاقطار العربية أن تنتشر بينهم حقائق التاريخ الطبيعي وأصول الاديان التاريخية والافكار الديمقراطية الحديثة

٢ ـ عند رجال الذهن ميل الى تضامن الاقطار العربية بل اتحادها في شبه ولايات متحدة عربية كل منها مستقلة في داخليتها . ولكن انجلترا وفرنسا تعوقان تحقيق هذه الفكرة . ورابطتنا الحاضرة هي اللغة وهي جامعة المستقبل لان الاديان الرسمية ـ وهي غير الروح الدينية ـ قد خفت وطأتها . ولغتنا العربية لوحدة وتيرتها

في التعبير من اقوى الجامعات فيجب ان لا نحيد عن هذه الوحدة

٣ ـ علة الاقطار العربية ورأس بلواها اننا ما زلنا نعتقد ان هناك مدنية غير المدنية الاوربية . فآدابنا لا تزال في معترك بين اسيا واوربا . فيجب ان ننزع نحو أوربا و نفتح أبوابنا على مصراعيها للحضارة الاوربية ونتقبل مبادىء البرلمانيــة والديمقراطية والاشتراكية وهذه مبادىء لم تعرفها آسيا أم الاستبداد الاتوقراطي في الحكومة والدين والادب والعلم مع انها لب النجاح القومي

وليس هناك حد يجب ان نقف عنده في اقتباسنا من الحضارة الاوربية.والحقيقة كما قلت ان في العالم العربي الآن صراعاً بين المبادىء الاسيوية التي ينصرها ويذود عنها رجال الدين والمبادىء الاوربية التي يدين بها ويعمل في نشرها طبقة صغيرة عدداً ولكنها كبيرة حرمة وجاهاً باعتبار ان في يدها مقاليد الاحكام . فهذه الطبقة تستطيع ان تحضر العالم العربي طفرة بسن القوانين كأن تعاقب مثلاً المرأة المتحجبة كما عاقبت حكومة الصين الرجال الذين يرخون ذوابات على رؤوسهم . ولا قبل لنا بانتظار التطور الاجتماعي لان العالم يثب نحو الامام

وواجب كتاب الصحف والمجلات أن يؤسسوا نوعاً من الرقابة النيرة لمنع الرجعيين ذوي الثقافة الاسيوية من نشر آرائهم في صحفهم او طبعها للجمهور فلا ينبغي مثلا لصاحب المجلة أو الجريدة ان ينشر دفاعاً عن الحجاب أو ما شابه ذلك

سلامه موسى

الاستاذ المستشرق ا. جويدي

اني على ثقة من كون نهضة العالم العربي التي نشاهدها اليوم وطيدة الاساس ثابتة الاركان لان لها جذوراً متصلة بروح الشعب العربي الذي اتصف بصفات جعلته ارفع مرتبة من سائر الشعوب الشرقية . حتى في موضوع الدين فاننا اذا فكرنا في روح التساهل والتسامح التي كانت سائدة في ايام الخلافة العربية الذهبية في دمشق وبغداد وجب ان نعتقد ان التعصب الديني لن يكون حجر عثرة في سبيل التفاهم بين اهل الاديان المختلفة وان العرب المسلمين سيسرون من معاونة العرب المسيحيين لهم سواء أكانوا اقباطاً أم لبنانيين أم غير ذلك . ان مرونة الذهن العربي عظيمة جداً وهي تؤمل بان آثار الرقي والتقدم في العلوم والآداب التي حازتها اوربا وأميركا والتي اقتبست مصر ـ على الخصوص ـ جانباً كبيراً منها سوف تعم وتنتشر تدريجاً بين جميع الطبقات بفضل النهضة الحاضرة التي هي بمثابة شباب جديد للشعوب العربية ولا سيما متى اصبحت مقاليد الامور في ايدي حكومات وطنية .

أما اللغة فشأنها عظيم في ربط الاقطار العربية وهي خير واسطة لانماء روح الوطنية الحقة وروح التعاون والتعاضد

(ترجمة)　　　　　　　　　　　　ا . جويدي

الاستاذ محمد لطفي جمعه

ان في الاسئلة التي وجهتموها الي ما يحتاج الى بعض التفسير .

أولا — ما هو المقصود بلاقطار العربية ؟ هل المقصود الاقطار العربية بالمعنى الصحيح أي بلاد العرب بحجازها ونجدها ويمنها وحضرموتها ، أم البلاد التي فتحها العرب في صدر الاسلام وبقيت الى الآن سائرة على انظمة عربية ، أم البلاد التي يتكلم أهلها باللغة العربية بقطع النظر عن تابعيتهم ودينهم ، أم البلاد التي تدين بالاسلام وتخضع للمدنية العربية بحكم لغة القرآن ؟

ومهما يكن المقصود بلاقطار العربية أو الشرق العربي فان احد الاسمين اذا ذكر يحضر لذهني الممالك الآتية : مراكش ، الجزائر ، طرابلس ، مصر ، السودان ، بلاد سوريا (بقطع النظر عن تقسيمها الى ولايات ودول) ، بلاد العرب الحقيقية ، بلاد العراق . وبعبارة اخرى اقصد بالشرق العربي أو الاقطار العربية جزءا من الارض يمتد من المغرب الاقصى غرباً وينتهي بحدود فارس شرقاً ويرتفع شمالا الى ديار بكر وجنوباً الى آخر حدود السودان الغربي لدى القبائل التي تتكلم اللغة العربية بلهجات مشوهة

وهذه المساحة الجغرافية تبلغ في مجموعها نحو قارة صغرى وعدد سكانها يتراوح بين اربعين وخمسين مليوناً من السكان ومعظمهم

من الفصيلة السامية من الجنس البشري وفيهم البيض والسود وفيهم ذوو الرؤوس المستديرة أمثال أهل سوريا وذوو الرؤوس المستطيلة أمثال العرب والعراقيين

ومعظم هذه الاقطار غنية وخصبة وذات مركز جغرافي وسياسي واقتصادي عظيم . واهلها معظمهم يشتغلون بالزراعة والتجارة وهما الدرجتان الاوليان في المدنية وفيهم من يمثل بعض درجات المدنية الراقية وفيهم من يعيش حتى الآن في حالة همجية . وهذه الشعوب مختلطة بحكم موقعها بمعظم شعوب الارض ولكنها للاسف كلها محكومة بشعوب اجنبية قوية . فتونس والجزائر ومراكش وطرابلس تحكمها فرنسا وايطاليا واسبانيا . ومصر والسودان وفلسطين وسوريا وشرق الاردن وبلاد العرب والعراق خاضعة للسلطة الاجنبية اما مباشرة واما بالواسطة اما حقيقة واما مجازاً ومقسمة بين انجلترا وفرنسا

وبعبارة اخرى ان جميع الاقطار العربية تحكمها انجلترا وفرنسا وايطاليا واسبانيا وهي اربع دول من اوربا الغربيـة واحدة منها انجلو سكسونية شمالية وثلاث لاتينية من دول البحر الابيض المتوسط واثنتان منها حديثتا العهد بالاستعمار في الاجيال الحديثة وهما ايطاليا واسبانيا

والاديان المنتشرة في هذه البلاد هي الاسرائيلية والمسيحية والاسلام بجميع فرقها ومذاهبها وشيعها وألوانها . وسكان تلك

الاقطار العربية يشغلون جميع الممالك القوية في التاريخ القديم مثل قرطاجنة ومصر وفينيقيا وتدمر وبعلبك وبابل واشور ودول الاسلام ومملكة اليهود أي الممالك التي كانت مركز العمران والمدنية في العالم القديم . وفي هذه الاقطار ظهرت جميع الاديان السماوية في بيت لحم واورشليم ومكة ومصر وسينا . وكانت هذه الاقطار ميادين حروب عظيمة من قديم الزمان بين أمم الشرق والغرب مثل اليونان والفرس والرومان والعرب والحروب الصليبية

هذه هي الاقطار العربية المقصودة في أسئلتكم قد حددتها لنفسي ولقراء مجلتكم فاذا تقررت هذه الحقائق الجغرافية والتاريخية والاتنولوجية يصح تفسير كلمة نهضة وما تعنون بها . فهل تقصدون ما يقصد عادة بكلمة (رينيسنس) أي حركة احياء العلوم والاداب والفنون مثل التي ظهرت في القرن الرابع عشر وما بعده في ايطاليا وامتدت الى أوربا ، أم نهضة بمعنى حركة فكرية ضد المعتقدات والعادات والانظمة الاجتماعية القديمة ، أم تقصدون بالنهضة الثورة السياسية ؟ أظن ان كلمة نهضة تشمل كل هذه المعاني والمقاصد وتجب الاجابة على سؤالكم من جميع وجوهها

أما عن إحياء العلوم والآداب والفنون فانا لا أرى لذلك الاحياء اثراً في الوقت الحاضر في جميع تلك الاقطار ويجوز ان يكون في مصر ميل نحو هذا الاحياء والدليل عليه ظهور كثيرين من الكتاب والمفكرين الذين يريدون خلع الثياب القديمة وطرق

أبواب جديدة ولكن هذه النهضة مقيدة الآن بعوامل كثيرة منها العوامل السياسية . اما في سائر البلاد الاخرى فلا أثر لتلك النهضة

وعن النهضة الفكرية أي الرغبة في خلع نير الافكار والمعتقدات القديمة وظهور مصلحين في الدين والاجتماع فاننا نرى من حين الى آخر افراداً قلائل يقومون ويرفعون بايديهم مصباح الحقيقة ويحاولون المحافظة عليه من زوابع الجهل والتعصب والغباوة المنتشرة في الامم العتيقة المظلومة ولكن هؤلاء الافراد لا يقدرون على حمل المصباح بدون تعضيد من مجموع الامة فلا يلبثون ان يكلوا دون الاستمرار في أعمالهم الجليلة فيتواروا عجزاً أو يهلكوا وأمثالهم كثيرون في الاقطار العربية

أما عن النهضة السياسية فلا شك في وجودها في سائر تلك الاقطار وقد ظهرت آثارها الاولى في مصر وانتشرت منها الى البلاد المجاورة ولا غرابة اذا رأينا تلك النهضة قد استغرقت جميع قوى تلك الامم وصرفتها عن كل نهضة سواها . فالمسألة السياسية أي تمتع الامم بحريتها القومية والوطنية هي مسألة حيوية وهي شرط أساسي لوجودها . ونفسي تحدثني انه اذا ساعدتنا الظروف على نيل الحرية فان النهضتين السالفتي الذكر (العلمية والعقلية) تظهران حتماً بعد النهضة السياسية

ورأيي في النهضة السياسية في الاقطار العربية انها قائمة على أساس وطيد يضمن لها البقاء وليست من نوع الغليان الوقتي الذي

لا يلبث ان يخمد . وهذا الاساس الوطيد هو اولا اقتصادي وثانياً عقلي . فمن الوجهة الاقتصادية أدركت تلك الأمم الشرقيــة ان حالتها السياسية اذا استمرت على ما هي عليه فلن يجد أهل تلك البلاد قوتاً لهم ولأولادهم وأحفادهم من بعدهم فانقلبت المسألة من مسألة معنوية الى مسألة حيوية . والأساس العقلي هو ما حدث في الحرب العظمى وبعدها فان الحجاب الذي كان يستر الحقيقة عن عقول تلك الشعوب قد زال وأصبحت تنظر الى الدنيا نظر المدرك لما يدور حوله . هذان هما العنصران لأساس النهضة السياسية في الأقطار العربية وهما عنصران قويان ولذا اعتقد ان أساس تلك النهضة وطيد يضمن لها البقاء

السؤال الثاني أصعب من الاول والثالث . وهو هل اعتقد بامكان تضامن هذه الاقطار وتآلفها ومتى وباي العوامل ما شأن اللغة في ذلك . أقول : انه ما دامت الحالة السياسية في اوربا على ما هي عليه وما دام الغرب ينظر الى الشرق نظر البغضاء والاحتقار ويعتبره فريسة باردة فكل ما يفعله الشرق العربي لحصول التضامن والتآلف سيفشل حتماً بفعل دول اوربا التي لا تغفل ولا تنام عن نهضــة الشرق بل تبقى له دائماً بالمرصاد . ولــكن اذا تغيرت الانظمة السياسية في سائر أقطار اوربا وامريكا او في معظمها بحيث يصبح الباقي منها عاجزاً عن الاستمرار في سـياسة الاغتصاب والاستعمار فان هذه الاقطار قد تتآلف وتتضامن وتتحد . وعلى

كل حال فاي خير ينتظر من هذا الاتحاد والتضامن والتآلف ؟ ان كل شعب من الشعوب المذكورة له خلال وآداب وأفكار تباين أفكار وآداب وخلال الشعوب المجاورة وهيهات ان يتفق المصري والمراكشي واليمني والموصلي على امر معين بشروط معينة ـ فلأجل هذا أظن ان تأليف دولة قوية تشغل وسط العالم القديم ليس من الامور السهلة لأنه أولا ينبغي ان نعلم شكل الحكومة التي تحكمها . ان دولة كهذه تحكم من رباط الفتح غرباً الى بغداد شرقاً لا يستقيم أمرها الا اذا كانت جمهورية عظيمة او امبراطورية خاضعة لارادة فرد قوي جداً من نوع يوليوس قيصر . واظن ان الشعوب المذكورة لن تخضع ولن تدرك قبل مائتي سنة على الأقل قيمة الحكم الجمهوري الحقيقي . فاذا تكونت جمهورية في احدى الامم فيبعد ان تهتم بشؤون الامة المجاورة لأن أساس الجمهورية الحقيقية حب الحرية للجميع . فهل تؤلف من الاقطار العربية جمهوريات عديدة تجتمع كلها في مجلس أعلى يعقد مثلا في دولة متوسطة بين بغداد ومراكش وتكون تلك الأقطار أشبه شيء بالولايات المتحدة مختلفة في السياسة الداخلية ومتفقة في السياسة الخارجية . هذا جائز وممكن ـ ولكن بعد ان تصير اوربا وامريكا مثل روسيا أي دولا حرة لا يهمها الا شؤونها الداخلية وتعمير بلادها . أما وجود رجل قوي مثل قيصر يجعل نفسه امبراطوراً للشرق العربي فيصعب الآن وجوده لأن عهد الجبابرة قد انقضى ولكنه اذا وجد فلن

يوجد بعده نسل يحفظ كيان دولته فتعود الحال الى أسوأ مما كانت عليه

وأهم عوامل التضامن والتآلف بين تلك الامم هو عامل مكافحة التسلط الاجنبي الذي غايته القضاء على حياة تلك البلاد

أما العامل الديني فقد ضعف في هذا الزمن وظهوره في فلسطين انما هو ظهور وقتي بقوة السياسة ولكنه سيختفي حتما . فنحن ننتظر بصبر واستبشار ذلك العصر الذهبي الذي سيراه أحفادنا ولكن ينبغي لنا ان نعمل لتحقيقه وذلك بتأليف روابط قوية بين سوريا ومصر من جهة وبين ممالك أفريقيا الشمالية من جهة أخرى وبين العراق وبلاد العرب . ولتكن تلك الروابط عقلية وتجارية وأدبية فقد تؤدي يوماً من الايام الى تحقيق ذلك الاتحاد العظيم بين دول الاقطار العربية

السؤال الثالث سهل للغاية

ا ـ عن الانظمة السياسية الحديثة ـ أنصح لاهل الاقطار العربية أن يقتبسوا من عناصر المدنية الغربية ما هو شائع في أوربا الشرقية في الممالك السلافية والجمهوريات المجاورة . وهذا لاعتقادي ان مستقبل العالم هو في ـ لوكد هذه الخطة ولان أخلاقنا وأمزجتنا توافق أخلاق تلك الامم وها هي الاماني والاحلام الشرقية عن العدل والحق والحرية والاحسان والمساواة قد بدأت تتحقق في تلك البلاد بل تحققت فعلا . فلاقطار العربية أولى الاقطار باقتباس

الانظمة التي أدت اليها . ان العالم يسير بخطوات واسعة نحو الاشتراكية المنظمة المعقولة وتحقيقها بالفعل مع احترام الآداب والشعائر الحالية . فلماذا ينقطع الشرق العربي عن تلك المبادىء . وهذه نصيحتي ورأيي وأظن كل عاقل يوافق عليها

ب ـ في الادب والشعر ـ ينبغي لنا أن نهمل الشعر بتاتاً فانه فن غير مثمر ومضر لا سيما النوع الليريكي ولا بأس بتشجيع النوع الايبكي منه مثل الالياذة . أما الادب فيجب علينا أن نشتغل بالتأليف القصصي والتأليف التمثيلي وأن يوجد منا من يتقنهما بدرجة تداني أكابر كتاب الغرب مثل تورجينيف وتولستوي وايبسن

ج ـ في العادات الاجتماعية ـ ينبغي أن نهتم أعظم اهتمام بحياة الاسرة فنمحو نظام تعدد الزوجات وسهولة الطلاق وينبغي أن تتحرر المرأة تحريراً كلياً ولكن بشرط أن لا تشارك الرجل في أعماله الا في الضرورة القصوى لتتمكن بذلك من حفظ كيان الاسرة . وينبغي أن نغير أزياءنا حتى تنطبق على حياتنا وتوافق احتياجنا . فالطربوش مثلا وهو لباس شائع في معظم الاقطار العربية يعد حلية جميلة للرأس ولكنه قليل النفع في الشتاء وكثير الضرر في الصيف . والحبرة للمرأة من أقبح الازياء وأقلها جمالا وفائدة فيجب النظر في تغييرها . ويجب علينا في الموت أن نقتدي بالامم الغربية فلا نواح ولا صياح ولا مأتم ولا جنازات سخيفة بل

سكوت وسكون وخشوع وتوديع باحتشام لان جلال الموت في الموت وتهجر عادة زيارة القبور الا مرة واحدة في كل عام . كذلك الافراح ينبغي أن نقلد فيها الغربيين فلا صيوان ولا خيام ولا مآكل بغير نظام ولا غناء ولا رقص ويكفي اعلان بسيط في الصحف أو للاقارب والاصدقاء وسياحة شهر واحد أنفع للعروسين من انفاق خمسمائة جنيه على بطون وأدمغة المدعوين . وينبغي لنا أن نقتبس من الغرب عادات الاحسان المنظم فننشيء الملاجيء والمستشفيات والمدارس للفقراء ليختفي منظر المستجدين من الطرق وينبغي أن نبطل جميع العادات السارية الآن باسم الاديان وهي ليست منها في شيء وفي هذا القدر كفاية

د — في التربية والتعليم — ينبغي قبل كل شيء الاعتناء بالرياضة البدنية لا على الطريقة الانجليزية مثل كرة القدم والملاكمة والمصارعة فانها العاب سخيفة ومضرة ولا تنطبق على آدابنا ولكن لا بأس من ترويض الصغار على الجري والقفز وركوب الخيل والرمي باليد الى مسافات بعيدة ورمي السهام واللعب بالسيف والرمح وكذلك لا بد من ترويض البنات على الالعاب البدنية التي تناسب أجسامهن فيشتركن مع الصبيان في السباحة وركوب الخيل والصيد والركض لمسافات قصيرة وينبغي من وجهة التعليم أن نصرف قوتنا الى العلوم الحقة مثل الكيمياء والطبيعة والرياضيات وعلم طبقات الارض والمناجم وعلم الفلك وعلم حفظ الصحة وبالجملة جميع العلوم التي لها

غاية عملية نفعية في هذه الدنيا وتضرب صفحاً ولو مؤقتاً عن علم اللاهوت وعلوم الكلام وما وراء الطبيعة ونتوجه بكل قوتنا الى علم النفس العملي ولا بد من أن يتعلم كل شاب بجانب علومه صناعة مثل النجارة أو البرادة أو النسيج لما في ذلك من الفائدة المعنوية . اما التربية فهي حتما ترتقي بارتقاء حياة الاسرة وتدريب الامهات على تقويم أخلاق البنين والبنات

محمد لطفي جمعه

الدكتور طه حسين

الاستاذ بالجامعة المصرية

— ١ —

أفهم جداً أن تلقى مثل هذه الاسئلة في هذه الايام التي تعيش فيها لان الشرق العربي كله مضطرب اضطراباً شديداً لم يكن لنا به عهد من قبل فمن المعقول ان نسأل عن مصدر هذا الاضطراب وعن قيمته وعن نتيجته

ولسنا في حاجة الى ان نتعرف مصدر هذا الاضطراب فهو معروف . فالشرق يستيقظ من نومه وينهض بعد انحطاطه ويتحرك بعد هذا السكون الطويل . لسنا في حاجة الى أن نطيل البحث عن مصدر هذا الاضطراب ولكننا مضطرون الى أن نتعرف قيمة هذا الاضطراب وخطر هذه النهضة

أحق ان الشرق العربي ينهض وان نهضته قيمة صحيحة قوية تستطيع ان تقاوم الخطوب وأن تؤتي ما آتته النهضات في اوربا وامريكا من الثمرات ؟ أما انا فلا أشك في ذلك بالقياس الى مصر وسوريا . ولكني لا أستطيع أن أجيب بنفي او اثبات في أمر غير مصر وسوريا من البلاد لان علمي بأمر هذه البلاد قليل

لا أشك في ان النهضة المصرية والسورية صحيحة قوية

منتجة . ولا استدل على ذلك الا بشيء واحد وهو ان هذه النهضة ليست بنت اليوم ولا امس وانما مضت عليها عشرات السنين بل مضى عليها اكثر من قرن وهي تزداد في كل يوم قوة وثباتاً ونمواً وتناولا لطبقات الشعب على اختلافها . ولو انها نهضة متكلفة لما عاشت هذا الدهر الطويل ولما استطاعت ان تقاوم منتصرة حرب الاجنبي التي لم تخمد نارها لحظة منذ ابتدأ القرن الماضي

هذه النهضة صحيحة اذن . وهي عامة تتناول فروع الحياة جميعاً فهي تتناول الحياة السياسية والاجتماعية والعقلية كما تتناول حياة العواطف والشعور . ومصر وسوريا في جميع هذه الفروع من الحياة تذهب مذهباً واضحاً بيناً هو مذهب الاتصال المتين بالحضارة الاوربية . فسواء أراد المصريون والسوريون ام لم يريدوا فسيتصلون اتصالا قوياً متيناً باوربا في كل فرع من فروع الحياة . هم يفكرون كما يفكر الاوربيون ويشعرون كما يشعر الاوربيون ويسعون الى نظام سياسي كنظام الاوربيين . ولا بد من ان يتم هذا كله وان تغمر الحضارة الغربية مصر والشام حتى يصبح هذان البلدان جزأين من أجزاء اوربا . وفي الحق ان مصر والشام ليستا من هذه النهضة في منزلة واحدة . فقد تكون مصر أرقى من الشام نهضة سياسية وقد تكون أرقى من الشام من الوجهة الاجتماعية والاقتصادية لان وحدة مصر قد بقيت دائماً موفورة لم ينلها فساد ولا تقسيم فكانت النهضة عليها أسهل وأيسر . بينما لقيت سوريا اهوالا

وضروباً من العناء افسدت عليها أمرها غير مرة واضطر السوريون الى جهاد عنيف مؤلم لم يضطر اليه المصريون. فلعلنا لا ننسى ان الحضارة الاوربية قد عرضت نفسها على مصر فقبلتها مصر وان أهل الشام قد هاجروا الى اوربا وامريكا يخطبون الحضارة ويتحيلون في اجتذابها الى بلادهم وقد تكلفوا في ذلك خطوباً وصروفاً وظفروا آخر الامر ولكن بعد عناء شديد

مصر اذن ارقى من سوريا من الوجهة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ولكن سوريا أرقى من مصر من وجهة الحياة المادية الجديدة. فالسوريون أحرار من هذه الجهة. والمصريون محافظون

بينما يستطيع السوري في سهولة ويسر ان يقطع كل ما بينه وبين القديم من صلة وان يصبح اوربياً في حياته المادية والمعنوية يجد المصري في ذلك عسراً شديداً. ولقد تجلس في جماعة من شباب السوريين وفتياتهم فيخيل اليك انك في جماعة أوربية خالصة ثم تجلس في جماعة مصرية من الفتيان — لا من الفتيات — فما تشك في انك في بيئة مصرية شرقية خالصة قد أخذت من الحضارة الاوربية بنصيب. واذن فسيكون الرقي المصري هادئاً بطيئاً مأمون العاقبة لانه سيحتفظ بالشخصية المصرية دون ان يهمل المدنية الغربية. وسيكون الرقي السوري سريعاً مندفعاً خطراً أشبه بالوثوب منه بالسعي وستكون عواقبه شديدة الخطر ان لم يجتهد زعماء السوريين في تنظيمه وتهديئه لانه سيعرض الشخصية السورية

للضياع والفناء في الحضارة الغربية

— ٢ —

اما تضامن مصر والشام فشيء لا شك فيه ولكن الى حد . فمصر والشام شرقيتان تتكلمان لغة واحدة وتشعران شعوراً سياسياً واحداً أو متشابهاً على اقل تقدير ولكنهما ليستا حرتين . فامامهما أوربا . وأوربا قوية جبارة ومنافع أوربا كثيرة مختلفة معقدة وكل ذلك يحول بين التضامن الفعلي السياسي وبين هذين القطرين . واذن فستظل الصلة بين مصر والشام متينة ولكنها لن تتعدى المنافع المادية والاشتراك في طريقة التفكير والشعور . وربما كان من الشر المنكر ان يحاول المصريون والسوريون ايجاد صلات أخرى بين البلدين فان ذلك يغري بهذين البلدين كيد أوربا ومكرها وستظل اللغة أهم الصلات بين مصر وسوريا . وذلك ظاهر لا يحتاج الى بحث ولا الى استدلال

— ٣ —

من كل ما تقدم يظهر ان المصريين والسوريين مضطرون بحكم الطبيعة الاجتماعية والمنفعة الى ان يقتبسوا نظم الحضارة الغربية . ولكن هذا الاقتباس يجب ان يتفاوت قلة وكثرة

فاما من الوجهة السياسية فيجب أن نمضي في ذلك مسرعين لا يقيدنا الا شيء واحد وهو استعداد شعوبنا لقبول النظم السياسية المعتدلة او المتطرفة. فالجمهوريات مثلا ممكنة جداً في

سوريا ولعل نظامها مع شيء من الاعتدال أشد النظم ملاءمة لاحوالها السياسية والدينية والاجتماعية والجغرافية . وهـذا النظام نفسه مستحيل خطر سيء العاقبة في مصر . فيجب ان تسلك مصر طريقها الملكية الدستورية على ان يكون دستورها أقرب الدساتير الى النظام الحر الذي تستمتع به البلاد الانجليزية . وكذلك قل في العلم . فيجب ان نندفع في الطريق العلمية الغربية اندفاعاً لا حد له الا مقدرتنا الخاصة . لان العلم قد أصبح غربياً خالصاً وليس لنا فيه نصيب قومي . وعلى العكس من ذلك في الفن والادب والحياة الاجتماعية . فانا فنوننا وآدابنا ونظامنا الاجتماعي . وواجبنا هو ان نحتفظ بشخصيتنا قوية واضحة في هذه الاشياء وألا نقتبس من أدب الغرب وفنه ونظامه الاجتماعي الا ما يمكن شخصيتنا من ان تنمو وتتطور وتحتفظ بما بينها وبين العالم المتحضر من الاتصال

مصر　　　　　　　　　　طه حسين

الاستاذ انيس الخوري المقدسي

الاستاذ بالجامعة الاميركية ببيروت

للامة كما للفرد حالة روحية خاصة تتأثر بالمؤثرات . وتتحرك اذا وجدت لها محركات . وهذه الحالة الروحية نعبر عنها « بشخصية الامة » وهي الاس الحقيقي الذي يشاد عليه عمرانها ويعرف به كيانها . فاذا كانت تلك « الشخصية » مهذبة منظمة لها شعور حي وارادة متحدة كانت نهضة الامة قائمة على أساس وطيد يضمن لها البقاء والا فهي فوران وقتي لا يلبث ان يخمد ويزول

فمن أي النوعين نهضة الشرق العربي اليوم ؟

الذي أراه ان هذه النهضة قائمة على شعور عام يملأ نفوس الامم الشرقية عموماً — شعور بشيء من احترام النفس والكرامة القومية وهو اثر من آثار اليقظة العمومية في الشرق وقبس من ذلك النور الداخلي في حياة شعوبها الواقعة تحت سيطرة الغريب أو هو نار من ذلك البركان الاجتماعي الذي قد أخذ ينفث حممه في كل امة لم يزل فيها رمق من الحياة

على ان الشخصية الشرقية العربية لم تزل في طور الحداثة

وسيمر عليها وقت طويل قبلما تبلغ سن الرشد وتصبح قوة عظيمة يعتمد عليها في عمران الشرق الادنى . ذلك الاس الروحي الذي تقوم عليه نهضة الاقطار الشرقية اليوم هو اس صحيح ولكنه لن يكون وطيداً ثابتاً ولن يدوم طويلاً ما لم يتعزز بالعلم الصحيح ويرتبط برباط التضامن فينبذ الشرقيون عندئذ كثيراً من عاداتهم البالية وينصرفون عن الاوهام وتنميق الالفاظ الى العمل — الى احياء شخصيتهم القومية وتغذيتها بلبان المعرفة والاتحاد والتساهل وبكلمة اخرى الى اتباع الحقيقة العلمية بدل التقاليد الموروثة والجامعة الوطنية بدل العصبيات المفرقة . ولكن هل يمكن ذلك . هل يمكن وجود التضامن بين الامم الشرقية العربية ؟ هل يمكن ان يتنازل الشرقيون عما ورثوه من النعرات القتالة لاجل المصلحة العمومية أو خدمة للحقيقة العلمية ؟ هذا هو السؤال الثاني وعليه أجيب

اني لا انكر العقبات الكبرى التي في هذا السبيل . وكيف انكرها وأنا كشرقي صميم خبير بأحوال الشرق وطبائع أهله أرى ما لعصبياته الدينية ومناهجه التهذيبية والاجتماعية من التأثير في تفكيك عراه وقتل روح التضامن . والاتحاد بين بنيه . ان الناطقين بالضاد اليوم هم ورثة الاجيال السامية القديمة الذين عرفوا بالاستقلال الفردي والتخاذل القومي . ألا ترى ان اليهود قديماً وكذلك العرب بعدهم مع محاولة الدين قتل نعراتهم الدموية ودمجها

في عصبية واحدة جامعة هي العصبيـة الدينية ظلوا قبائل قبائل وعصبيات عصبيات واعتبر ذلك في سواهم من الامم الشرقيـة السامية قديماً وحديثاً فترى ان الاستقـلال الفردي أساس كل حركة من حركاتهم السياسية والاجتماعية ولا عبرة بما تراه من بعض مظاهر الوحدة في تاريخهم فما ذلك الا حالات وقتية اقتضتها ظروف خاصة فزالت بزوال تلك الظروف

ومع كل ذلك — مع معرفتي بطبائع الشرق العربي أرى ان التضامن ممكن في أقطاره . أقول ذلك وأنا ناظر الى بعيد الى الوقت الذي يزداد فيه الضغط الاجنبي السالف الغربي على الأقطار العربية ازدياداً يشعر معه سكانها بألم شـديد في أنفسهم وبوجوب التعاون مدافعة عن حياتهم أو عن كرامتهم . ومتى حصل هذا الشعور العام يرى المسـلم المسيحي من أبناء العربية ان تصافيهما وتآخيهما واتحادهما أصلح لها وأبقى من سوء ظن أحدهما بالآخر وان جامعتهما الشرقية أحن عليهما وأثبت لهما من كل نعرة دينيـة أو مصلحة طائفية

نعم يحصل التضامن في الشرق العربي متى دبت في بنيه روح التهذيب الراقي التي تعلم الانسان انه من الجهل مقت غيره لاعتناقه مذهباً يخالف مذهبه وأن الدين واجب روحي خصوصي يقوم به الفرد نحو القوة الازلية المستقرة وراء الافهام وانما تظهر ثماره في المجتمع بحسن السلوك والفضائل . وأن أخا الانسان الحقيقي ومواطنه

هو الذي يجب الاتحاد معه والسعي بمساعدته نحو غرض واحد هو اسعاد بيئته ورفع مستواها . وأن العلم لا ينحصر في تقاليد كلامية بالية ينظر بواسطتها الانسان الى السلف فيراهم في علومهم وسننهم فوق قمم من العظمة والكمال لا يمكن بلوغها أو ان من الكفر الاعتقاد بامكانية ذلك – بل هو المبني على المبادىء الفلسفية الراهنة والحقائق العلمية المؤيدة بالبرهان . وأن التربية الصحيحة لا تقوم بتحميل النفس احمالا من التعاليم السقيمة وحشو الدماغ بسخائف لا طائل تحتها . بل بدرس الحياة اجمالا وتنوير العقل بنور الفضيلة وتمرين النظر على رؤية ما لا يرى من جمال الوجود وتقوية الارادة على السير في السبل الصالحة

اذا عمت هذه الروح الشرق العربي ونفذت الى كل أمة من أممه حتى تتأثر منها شخصيتها التي لا تزال في طور الحداثة أو الطفولة فبشر الشرقيين حينئذ بأن نهضتهم ستدوم وان تضامنهم سيكون أمتن من كل عامل للفساد والتفرقة

ولقائل يقول : اذا لم يكن الدين أعظم جامعة لسكان الاقطار العربية فأية جامعة هناك تقوم مقامه ؟ أي قوة تستطيع ان تضم هذه الاقطار وتؤلف في كل منها وحدة قومية ؟ هنالك قوة واحدة تستطيع ذلك هي اللغة . فاللغة العربية وآدابها وما الى ذلك من تاريخها وتاريخ رجالها هي الاداة الوحيدة التي يمكن ان تجمع شتات العناصر في كل قطر عربي وتجعل منها أمة حياة نامية

على ان هذه اللغة لا يمكن ان تكون الرابطة المثلى ما لم يُعدل بها عن القديم البالي الى الجديد الحي — اللغة لا يمكن ان تكون شعار أمة حية ما لم تكن هي نفسها كذلك . وكيف تكون اللغة حية الا باخراجها من مدافن التقليد الاعمى التي وضعها فيها النحاة واللغويون والمتحذلقون أو مقلدوهم في هذا الزمان واخراجها الى رحاب الادب والعلم والفنون . اللغة لن تكون وحدة لشعوب الشرق العربي ما لم يفهم القائمون بأمرها انها ككل جسم حي يجب ان تجري في سبيل النشوء والارتقاء فلا يرجعون بها كما يحاول البعض من صاغة الكلام ومجامع اللغة الى بوادي الجاهلية وفدافد القديم . بل يتقدمون بها نحو الجمال الحقيقي المبني على الفكر الصافي والشعور العميق والمبادىء العلمية والاساليب السلسة فيهذبون نحوها ويستهلونه ويحيون آدابها وتاريخها باحياء الروح العالية في نفوس أبنائها

وهذا يقودنا الى السؤال التالي — وهو هل ينبغي اقتباس عناصر المدنية الغربية في اللغة والادب والسياسة والاجتماع ؟

والجواب على هذا نعم ولا . نعم اذا أريد بالعناصر الغربية محاسن ما عند القوم من أسباب المدنية والعمران كاسباب الصناعة والادارة والعلوم الطبيعية موضوعات الآداب الراقية واستعمالها لاجل ترقيتنا صناعياً واجتماعياً وأدبياً .. ولا — اذا كان المراد تقليد المدنية الغربية تقليداً أعمى يذهب بشخصيتنا القومية ومحاسن عواطفنا الشرقية

يجب أن يقتبس النور أنى يكن — في الغرب أو في الشرق في الشمال أو في الجنوب — النور نور حيثما التهب . والحقيقة مفيدة أينما ظهرت والمهم أن نسعى وراءهما بشرط ان نقوى بذلك شخصيتنا والا أضعنا أنفسنا بالتقليد وفنينا في سوانا

بقي سؤال لا بد منـــه — هو هل يمكن ان يكون اتحاد سياسي بين الاقطار العربية — مصر وسوريا والعراق والحجاز وسواها ؟

وجوابي على هذا — ان كان يراد بالاتحاد السياسي تأليف مملكة عربية كبرى من هـــذه الاقطار . فلا . لان عوامل التفرقة الآن على اختلافها بين هـــذه الاقطار أكبر بكثير من كل قوة للاتحاد السياسي . وان كان يراد به تفاهم عمومي كما هي الحال بين بريطانيا والولايات المتحدة مبني على الجامعة الادبية — فنعم . والرأي عندي ان يهتم كل قطر عربي بنفسه ادارياً أو سياسياً على شرط أن تتعاون الاقطار جميعاً على نهضة أدبية عموميـــة — نهضة تحيا بها الآداب العربية وعمران الشرق الادنى فيسير الناطقون بالضاد معاً في سبل العلم والحضارة ويتضافرون روحياً على احياء تلك العاطفة الاساسية في الارتقاء أعني احترام النفس . فاذا تم لهم ذلك — اذا تم لـــكل قطر عربي أن تتكون فيه شخصية قوميـــة واذا أمكن أن ترتبط هذه الشخصيات برباط أدبي حيّ فلا نستغرب أن نرى الشرق الادنى اليوم قد بلغ ما بلغته اليابان فيرجع حينئذ مجده القديم الذي طالما ندبه النادبون ويعيد نشاطه الذي أفقدته اياه الحوادث والسنون

بيروت أنيس الخوري المقدسي

جبران خليل جبران

السؤال : « هل تعتقدون ان نهضة الاقطار العربية قائمة على أساس وطيد يضمن لها البقاء أم هي فوران وقتي لا يلبث أن يخمد ؟ »

في عقيدتي أن ما نحسبه نهضة في الاقطار العربية ليس بأكثر من صدى ضئيل المدنية الغربية الحديثة ، ذلك لان هذه النهضة المباركة لم تخلق شيئاً من عندها ، ولم يبن منها ما كان موسوماً بطابعها الخاص ، أو ملوناً بصبغتها الذاتية . والاسفنجة التي تمتص الماء من خارجها وتنتفخ قليلا لا تتحول الى ينبوع ماء حي . أما ذاك الذي يرى في الاسفنجة نبعة فهو أحوج الى الرمدي وعقاقيره منه الى صاحب هذا المقال و نظرياته في الاجتماع

ان الشرق بكليته ، ذلك الشرق الممتد من المحيط الى المحيط، قد أصبح مستعمرة كبرى للغرب والغربيين . أما الشرقيون ، الشرقيون الذين يفاخرون بماضيهم ويتباهون بآثارهم ويتبجحون بأعمال جدودهم ، فقد صاروا عبيداً بأفكارهم وميولهم ومنازعهم للفكرة الغربية والميول الغربية والمنازع الغربية

ليس بحثنا في هل المدنية الغربية صالحة في ذاتها أم غير صالحة ، فالمدنية الغربية قد وقفت سنة ١٩١٤ أمام منصة القضاء السرمدي ولم تزل واقفة هناك . ولو استدبني القضاء السرمدي

لاصدار حكمه عليها لفعلت وكنت بما أقوله على وفاق تام مع أكثر مفكري الغرب

نحن نبحث الساعة في هل الاقطار العربية ناهضة أم غير ناهضة ، ونبحث في ما تتناوله لفظة « نهوض » من المعاني وما نقرره من النتائج

اذا كان النهوض بالتلمذة ، وما يظهره التلميذ في بعض الاحايين من المقدرة على الاقتباس السطحي ، فالاقطار العربية اذاً ناهضة

اذا كان النهوض بترقيع البالي ، فالاقطار العربية أحرى الاقطار بالاعجاب

اذا كان النهوض بان يرتدي شعب ثوباً فصل لشعب آخر ، فالاقطار العربية قد بلغت المحجة

اذا كان النهوض بتبييض القاتم ، وتكليس المتداعي ، وترميم المهدوم . فالاقطار العربية قد وصلت الى أوج المجد والسؤدد

اذا كان النهوض بان تنظر بمكبرات الجهالة ، فنرى النملة فيلاً والبعوضة جملاً ، فالاقطار العربية قد نهضت حتى ناطحت المجرة

اذا كان النهوض بالانصراف عن النبيل لصعوبته ، والاستسلام الى التافه لسهولته ، فالاقطار العربية قد أصبحت في مأمن من تقلبات الزمن

ولكن اذا كان النهوض بالاختراع والاكتشاف ، فالاقطار

العربيـة ما برحت هاجعة ، هـذا اذا نظرنا الى الاخـتراع والاكتشاف بعيني المشغوف بالمدنية الغربية وما فيها من المستحدثات الآلية

واذا كان النهوض بالروح والجوهر ، فالشرق العربي ما برح بروحه وجوهره حيث كان منذ ألف سنة .

واذا كان النهوض باليقظة المعنوية ، وما يلازمها من معرفة باطنية وشعور صامت ، فالشرق لم ينهض بعد لانه لم يهبط قط . فالـكنوز التي اكتشفها لم يفقدها ، ولـكنه تعامى عنها . وشجرة الدر التي غرسها في التربة القدسية وسقاها دمه ودموعه لم تزل غضة الافنان شهية الاثمـار ، غير انه تحول عنها وراح يستظل بشجرة أخرى

لو أتيـح لنا الوقوف هنيهة على قمة من قمم التجريد مستعرضين ماتي العصور الغابرة لرأينا ان نهضات الأمم ووثباتها لم تـكن بمـا أوجدته لمنفعة خاصة بها ، أو لمجد محدود بحدودها وتخومها ، بل كان بما تركته ارثاً للامم التي جاءت بعدها ، وعلمنا ان زبدة العهد الذي كان فجره في بابل ومساؤه في نيويورك هي بالحقائق العامة الشاملة التي اكتشفها الانسان وأثبتها ، وهي بالجمـال المطلق الذي رآه في الـكيان فوضعه بقوالب خالدة وأوقفه أبراجاً ذهبيـة أمام وجه الشمس . فان ذكرت النهضات الروحية قلنا كان موسى نهضة اسرائيل وموسى لم يزل ناهضاً . وكان بوذا نهضة الهند وبوذا لم

يزل ناهضاً . وكان كنفوشيوس نهضة الصين وكنفوشيوس لم يزل ناهضاً . وكان زردشت نهضة الفرس وزردشت لم يزل ناهضاً . وكان يسوع الناصري نهضة من ليس لهم أمة ولا وطن ويسوع الناصري لم يزل ناهضاً . وكان محمد نهضة العرب ومحمد لم يزل ناهضاً وان كان بنا ميل للآداب والفنون ـ وما الآداب والفنون من الدين الا بمقام الشرح من المتن ـ رأينا رموز تلك النهضات العلوية ظاهرة بجلاء في مزامير داود وسفر أيوب والحكايات الهندية والامثال الصينية ، وفي آيات علي ونظريات الغزالي ونفحات الفارض وغصات المعري ، وفي رؤيا دانتي وتماثيل ميكل انجلو ، وروايات شكسبير وأنغام بيتوفن . وان كان بنا نزوع الى العلوم الاجرائية وجدنا انه رغم ما يهدمه كل عصر مما بناه العصر الذي تقدمه فالدليل الباقي كان وسيكون لنفع المجتمع الانساني . ولكن اذا تتبعنا وتفحصنا حقيقة الذين اشتغلوا بالعلوم الطبيعية والفلسفية من جالينس الى لستر ، ومن اقليدس الى أينشتين . ومن يعقوب الكندي الى باستر ، وجدنا ان كل فرد منهم كان نتيجة مقررة لعزم كامن في عقلية شعبه ، ولم يكن قط ظلاً مرتعشاً لعقلية في الشعب الآخر

ظهر مما تقدم ان النهضات بالمصادر لا بالفروع ، وبالجوهر الثابت لا بالاعراض المتقلبة ، وبما ينشره الوحي من غوامض الحياة لا بما يحوكه الفكر من الرغائب الوقتية ، وبالروح المبدع لا بالمهارة

المقلدة ، فالروح خالد وما يبينه الروح خالد ، أما المهارة فقشور مصقولة تزول ، وما تعكسه على أديمها المصقول فأخيلة تضمحل

واذا ثبت ما تقدم تقرر لدينا ان الاقطار العربية ليست بناهضة اذا كانت تحسب النهوض في تقليد المدنية الغربية الحديثة — تلك المدنية التي يرتاب بها أبناؤها العقلاء ويكرهون أكثر مظاهرها

ولكن اذا عادت الاقطار العربية وتنبهت الى ما في ذاتها الخاصة من القوى ، ووقفت متهيبة أمام كنوزها المعنوية القديمة تكون ناهضة حقيقة وتكون نهضتها قائمة على أساس وطيد وليست بفوران وقتي لايلبث ان يخمد

***

السؤال : « هل تعتقدون بامكان تضامن هذه الاقطار وتآلفها . ومتى . وباي العوامل . وما شأن اللغة في ذلك ؟ »

هذا سؤال يتناول النهوض من حيث هو سياسة لا من حيث هو يقظة معنوية . لا بأس فهذا جوابي :

في عقيدتي انه ليس بالامكان تضامن الاقطار العربية في زمننا هذا ، لان الفكرة الغربية القائلة بميزة القوة على الحق ، والتي تضع المطامع الاستعمارية والاقتصادية فوق كل شيء ، لا ولن تسمح بذلك التضامن طالما كان لها الجيوش المدربة والبوارج الضخمة لهدم كل ما يقف في سبيل منازعها استعمارية كانت أم اقتصادية . وكلنا يعلم ان كلمة ذلك الروماني « فرّق تسد » لم تزل قاعدة

مرعية في أوربا . ومن نكد الدنيا ، من نكد الشرق والغرب معاً ان يكون المدفع أقوى من الفكر ، والحيلة السياسية افعل من الحقيقة

وأنى للاقطار العربية التضامن وقلب كل قطر منها يخفق ولكن بصدر عاصمة من عواصم الغرب ؟ وكيف تستطيع الألفة والتعاون وكل منها يستمد ميوله السياسية والعمرانية والاقتصادية من زاوية بعيدة من زوايا الغرب ؟

اذا كان القطر اواحد من الاقطار العربية يريد ان يتفق سياسياً مع القطر الآخر فعليه ان يأخذ منه ويعطيه . واذا كان يريد ان يلتحم به ادارياً فعليه ان يقرّبه ويقترب منه . واذا كان يريد ان يستعين به اقتصادياً فعليه ان يؤثر مبادلته على مبادلة البلاد الاخرى. فهل فهم القوم في الشرق العربي هذه الأوليات البسيطة ـ البسيطة الى حد الابتذال ؟

أقول انهم لم يدركوها بعد

وأقول انهم لن يدركوها حتى يكتشفوا في نفوسهم ما هو أعمق منها وأبعد

ألا فليخبرني الفهماء هل يفضل السوري الاخذ والعطاء مع المصري على الاخذ والعطاء مع الغربي ، وهل يؤثر المصري الاقتراب من السوري على الاقتراب من الغربي ، وهل العربي في الحجاز أو اليمن أو العراق أشد رغبة في مبادلة المصري أو السوري

منه في مبادلة الغربي؟

وليخبرني الاذكياء هل يمكن التضامن السياسي أو غير السياسي بدون التضامن الاقتصادي بل والاستقلال الاقتصادي ؟

وبعد ذلك فليقل لي العقلاء والوجهاء وقادة الرأي العام هل يرغبون حقيقة في نهضة الاقطار العربية وفي تضامنها وفي استقلالها وجلّ ما يفعلونه في هذا السبيل ابداء آرائهم ، وأكثرها بليدة وعقيمة ، أما أعمالهم الخاصة وما تيهم الذاتية وكل ما تتناوله حياتهم اليومية فتخالف مزاعمهم وتنكر عليهم دعواهم . فهم ان أكلوا فبصحون غربية ، وان شربوا فبكؤوس غربية ، وان لبسوا فلاثواب الغربية ، وان ناموا فعلى أسرة غربية ، وان ماتوا كفنوا بقماش منسوج في معامل غربية

أليس من المضحك ان يجيئني «الوطني الحرّ والسياسي المحنك» ليحدثني في شؤون الاقطار العربية ولكن بلغة غربية ؟

أليس من المبكي ان يدعوني الى منزله لاحصل على شرف المثول أمام زوجته المهذبة ـ المهذبة في المعاهد الغربية ؟

أليس مما يدمي القلب أن أجلس الى مائدته وابنته اللطيفة تحدثني عن أغاني شوبان ، وابنه الاديب يردد على مسمعي قصائد دي موسه ، كأن الروح السائرة مع الريح لم تسكب النهوند والبيات والرست في القلب الشرقي ؟ وكأنها لم تتكلم قط بلسان المجنون والشريف الرضي وابن زريق

وبعد كل ذلك أليس مما يستوجب الغضب أن يقودني هذا « الوطني الحرّ » الى ردهة الاستقبال ليتابع أحاديثه السياسية ويعرض عليّ آراءه في تضامن الاقطار العربية نيابياً واستقلالها ادارياً واقتصادياً ؟

لو قال لي هذا الوطني السياسي ، الذي يلعب دوربن بليدين في وقت واحد ، لو قال لي ولو بشيء من النزاهة « الغرب سابق ونحن لاحقون وعلينا أن نسير وراء السابق وتدرج مع الدارج » اذاً لقلت له « حسناً تفعلون . ألحقوا السابق ولكن اخقوه صامتين ، وسيروا وراء السائر ولكن لا تدّعوا بانكم غير سائرين ، وتدرجوا مع الدارج ولكن كونوا مخلصين للدارج ، ولا تخفوا حاجتكم اليه وراء غربال من الخزعبلات السياسية . وماذا عسى ينفعكم التضامن في الامور العرضية وأنتم غير متضامنين في الامور الجوهرية ، وماذا تجدي الالفة في المزاعم وانتم متباينون في الاعمال ؟ ألا تعلمون ان الغربيين يضحكون منكم عندما تحلمون الليل وطوله بالامة المعنوية والجامعة الجنسية والرابطة اللغوية حتى اذا ما جاء الصباح سيرتم أبناءكم وبناتكم الى معاهدهم ليدرسوا على أساتذتهم ما في كتبهم ؟ ألا تعلمون ان الغربيين يسخرون بكم عندما تظهرون رغبتكم في التضامن السياسي والاقتصادي مع انكم تطلبون اليهم أن يبدلوا المواد الخام التي تثمرها أرضكم بالابرة التي تخيطون بها أثواب أطفالكم والمسمار الذي تدقونه في نعوش أمواتكم ؟ »

هذا ما أقوله لمن يسمع ، ويسمع بشيء من النزاهة . أما الصم ، أولئك الذين لا يسمعون حتى ولا همس نفوسهم ، فلهم الحصة الكبرى من عطفي وشفقتي . أما نصيبهم من صوتي فمثل نصيبي من آذانهم

يتضح مما تقدم ، ولكن بصورة سلبية ما أحسبه افضل العوامل التي تؤول الى تضامن الاقطار العربية وتآلفها بل واستقلالها . . . أما الصورة الايجابيـة فهي تنحصر في أمرين أساسيين ، أولهما تثقيف الناشئة في مدارس وطنية بحتة وتلقينها العلوم والفنون باللغة العربيـة ــ فينتج عن ذلك الالفة المعنوية والاستقلال النفسي . وثانيهما استثمار الارض واستخراج خيراتها وتحويل تلك الخيرات بواسطة الصناعة الشرقيـة الى ما يحتاجه القوم من مأكل شرقي وملبس شرقي ومأوى شرقي ــ فينتج عن ذلك التضامن الاقتصادي ثم الاستقلال السياسي

***

السؤال : « هل ينبغي لاهل الاقطار العربية اقتباس عناصر المدنية الغربية وبأي قدر وعند أي حد يجب أن يقف هذا الاقتباس » ؟

في مذهبي ان السر في هذه المسألة ليس بما ينبغي أن يقتبسه الشرق او لا يقتبسه من عناصر المدنية الغربية ، بل السر كل السر هو ما يستطيع الشرق أن يفعله بتلك العناصر بعد أن يتناولها

قلت منذ ثلاثة أعوام ان الغربيين كانوا في الماضي يتناولون

ما نطبخه فيمضغونه ويبتلعونه محولين الصالح منه الى كيانهم الغربي أما الشرقيون في الوقت الحاضر فيتناولون ما يطبخه الغربيون ويبتلعونه ولكنه لا يتحول الى كيانهم الشرقي بل يحولهم الى شبه غربيين ، وهي حالة أخشاها واتبرم منها لانها تبين لي الشرق تارة كعجوز فقد اضراسه وطوراً كطفل بدون اضراس

لقد طرحت الكثير من أفكاري بين ملتويات الاعوام الثلاثة الاخيرة ، أما هذه الفكرة فلم تزل تلازمني ، فما خشيته وتبرمت منه اذ ذاك أخشاه واتبرم منه الآن . بل هناك أمر أدعى الى الوجل والقنوط ، وهو ان اوربا في أيامنا هذه تقلد اميركا وتتبع خطواتها بينما الشرق العربي يقلد اوربا وينحو نحوها . أعني ان الشرق العربي قد صار مقلداً للمقلدين وظلا للاظلال . أعني ان الاسفنجة قد أصبحت لا تمتص من الماء الا ما يتسرب اليها من الاسفنجة الاخرى ، وهذا منتهى الضعف والاتكال على الغير . بل هذا منتهى الغباوة والعماية لان الشرقيين في غنى عن الاستعطاء فضلا عن استعطاء المستعطي

لو كان بامكان الشرقي أن يقتبس ما يجهله بدون ان ينقلب المقتبس سماً قاتلا لما كان يعرفه لكنت أول الداعين الى الاقتباس. ولو استطاع الشرقي أن يستعير ما يحتاجه بدون ان يجعل المستعار قبراً لما كان حاصلا عليه لكنت من محبذي الاخذ والنقل والاحتذاء ، ولكنني نظرت فرأيت الفطرة المبدعة في نفس

الشرقي قيثارة دقيقة الاوتار ذات قرارات تختلف بطبيعتها عن كل قرار في كل وتر من كل قيثارة غربية، والشرقي لا يستطيع الجمع بين نبرات وسكنات نغمين متباينين بدون أن يفسد احدهما أو كليهما

كثيراً ما نسمع السطحيين يقولون « هوذا اليابان قد اقتبست المدنية الغربية فتقدمت وأفلحت وعظم شأنها حتى صارت تضاهي أعظم الامم وأقواها »

ولكن اليابان في شرع حكمائها ومفكريها وأدبائها قد أضاعت مدنيتها الخاصة بها عندما تمشت وراء المدنية الغربية ، ويقولون ان الشعب الياباني قد فقد عقليته وسليقته وأخلاقه وفنونه وصنائعه وراحة قلبه عندما انصرف الى تقليد اوربا وأميركا . ويقولون ان انتصارات اليابان العسكرية كانت بالحقيقة انكسارات معنوية ساحقة ويقولون ان المدرعات والمدافع والآلات التي تعلموا كيفية صنعها من المانيا والولايات المتحدة قد هدمت الجميل والنبيل والحيوي والنافع في المدنية اليابانية ولم تثمر غير البشاعة والسماجة والشلبة والسخافة

في الشرق ، في منزلنا القديم ، كنوز وذخائر وطرائف لا عداد لها ولكنها مشوشة متراكمة محجوبة بغشاء من الغبار . ومن المعلوم ان الغربيين قد أتقنوا فن الترتيب حتى بلغوا أقصى درجاته ، فهم ان رتبوا عيوبهم ظهرت كأنها حسنات جليلة ، وان رتبوا حسناتهم بدت كأنها معجزات رائعة . فاذا كان لا بد من الاقتباس فلنقتبس هذا الفن عن الغربيين بشرط ألا نقتبس سواه

جبران خليل جبران

امين واصف بك

أمم الشرق الادنى ليست أمماً همجية على فطرتها الاولى ولا هي من أجناس البشر المنحطة فتحتاج في تحضرها الى أزمان طويلة أو عوامل جبارة كمطارق الحديد وأفران المعادن . انما هي أمم تأخرت في المدنية ولكن بها أسباباً ذاتية كامنة للرقي لانها تراث خمس حضارات كبرى : فارسية . وهندية . ويونانية . وورومانية . واسلامية

وقعت هذه الامم بفعل الحكومات القاسية في سبات اجتماعي عميق عدة اجيال لاسباب معروفة في التاريخ فلما جاءت الحرب الكبرى وأزاحت عنها الكابوس الروسي والضغط الاوربي الاستعماري أصبحت اليوم في حالة تسمح لها بالرقي . ويكفي في يقظتها نفس عوامل النهضة التي أيقظت غيرها . لاسيما وقد أصبح من المحال لدول الاستعمار الآن ان تقبض عليها بتلك اليد الحديدية القديمة

يتوقف رقي الامم الشرقية على دقة أساليب الحكم القومي فيها. ومما يشير بحسن المستقبل ويعدّ فألا ميموناً كثرة البعوث العلمية التي لهذه الامم بأنحاء اوربا فالافغان وأهل اذربيجان (على الاخص) نحوا نحو الترك والهند في ارسال مئات الطلبة الى المعاهد الاوربية لكل فن ومطلب

رقي الامم يسير تحت نواميس طبيعية لا مفر منها كرقي سائر الكائنات الحية . والحوادث التاريخية انما تعيق سيره أو تحوله زمناً طويلا أو قصيراً . ولكنه لا يلبث ان يعود الى مجراه الطبيعي . هذه النواميس الطبيعية تتعلق بالاسباب الذاتية في كل أمة دون غيرها . وأثر أي حادث في الامة يكون قليلا أو كثيراً بنسبة تلك العوامل الذاتية أي استعدادها وهذا ما عليه العلم الحديث اليوم

فمصر مثلا سبقت أمم الارض الى الحضارة الاولى ونمت تحت سمائها الوثنية فأزهرت وأثمرت ثم جاءتها النصرانية فازهرت وأثمرت ونافست نصرانيتها رومية والقسطنطينية وكان لمدرسة الاسكندرية شأن كبير وتعاليم قيمة أخذت بها كنائس العالم شرقاً وغرباً . ثم دخلها الاسلام الذي تضعضع في كثير من بلاده اليوم الا مصر لا زالت هي كعبة العالم الاسلامي يأتي اليها طلاب الدين الحنيف من جميع الآفاق . وسيكون لها شأن اكبر في تقدم الحضارة العصرية كسرعة البرق وموعدنا ان شاء الله دخولنا في الحياة البرلمانية التي نحن على أبوابها الآن

ان أركان الحضارة الرقي الاجتماعي والسياسي والاقتصادي

اما الرقي الاجتماعي والسياسي فأساسهما المساواة في الحقوق لجميع افراد الامة ، والنظام النيابي . وهذه المبادىء ليست غريبة عن الامم الشرقية ولا حادثة على عقولهم لان جميع هذه المبادىء الديمقراطية مبادىء اسلامية صرفة في جملتها وتفصيلها . اعتبر ذلك

فيما تطلبه أمم الشرق عامة من المجالس النيابية اليوم وتثور من أجلها وناهيك ما تم في بلادها من المستشفيات والملاجيء ودور الكتب والجمعيات الخيرية على اختلاف أنواعها وأغراضها

والرقي الاقتصادي شمل جميع الاقطار وهو الاثر الجليل للاستعمار الاوربي بلا جدال فقد مدت السكك الحديدية وأنشئت خطوط الملاحة البحرية والاسلاك البرقية وانتشرت الآلات التجارية والسيارات . وجابت الصحف والمجلات الممالك بمختلف اللغات فجعلت العلم شائعاً بين جميع الامم . فكل اكتشاف علمي يخرج من وطنه صباحاً يبيت في حواضر الارض ليلته . وانه ليوجد في العالم الاسلامي اليوم اكثر من ثمانمائة صحيفة ومجلة . وكلها تنقل العلم عن صحف اوربا وأمريكا

هذه الامم التي تناكرت حيناً من الدهر بسبب تعدد الحكومات الاجنبية التي استولت عليها وبسبب جهلها وغفلتها . لا بد لها من الاتحاد السياسي في القريب العاجل ، لحفظ كيانها واستبقاء حريتها واستقلالها وستتخذ سبيل الدين والخلافة لتحقيق أمانيها دون اللغة لتعددها وعدم صلاحيتها للوحدة

ولا يخفى ان الحضارة الغربية فيها مزاياها ولها عيوبها فبينما تجد عجائب العلم وآيات الصناعات تجد الى جانب ذلك شيئاً من فوضى العقول وفوضى النظام وفوضى الاخلاق

فما مذاهب الاشتراكية المتطرفة والبلشفية والفوضوية وغيرها

الا فوضى عقلية أنها أكبر من نفعها ولله الحمد ان هذه النظامات الاجتماعية لا تتفق والتعاليم الاسلامية ولا تنبت في أرض اسلامية الى حين

وما الجمهورية وهي في عرف الغرب المثل الاعلى لما تعارف من الحكومات الا فوضى سياسية عند بعض الامم . وأظنها في الشرق لا تفيد لان أهل الشرق أقوام ذوو عصبيات ولهم منازعات على الزعامة خربت ديارهم احقاباً وتاريخ الشرق ديوان العبر

فواجب الامم الشرقيـة ألا تدخل من النظم الاوربية أرق نظام بل أليق نظام يتمشى مع حالتها السياسية والاجتماعيـة لان الطريق المأمونة في سياسة الشعوب هي الطريق العملية لا النظرية

واذا صرفنا النظر عن أقوال المتشددين من متأخري المسلمين وجدنا الاسلام ديناً ذا مرونة تامة والعرب في الصدر الاول أخذوا بأنظمة الروم في الشام ومصر وبأنظمة الفرس في العراق وفارس وما وراء النهر ووضعوا نظام حكوماتهم على هـذه النظم الاجنبية عنهم ولم يتحرجوا في اختيارها والعمل على أصولها

كذلك الاحتفاظ بالعادات القومية أمر واجب وفيه استبقاء للذاتية القومية . ولـكن اقتباس العادات الغربية موضع التدقيق والحذر حتى لا يدخل منها الا محاسن الاخلاق وقويم العادات

انما الامم الاخلاق ما بقيت فان همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وللغربيين عادات كثيرة يشكون منها ويتأففون ولـكنها

تأصلت في مجتمعهم وتورطوا فيها فلم يعد لهم مخرج منها ولا محيص عنها كالخمور وتبرج النساء وغيرها . فليحذر الشرقيون خطر الوقوع في وعثائها فانها أمراض اجتماعية معضلة

قال الاستاذ المحقق (ادوار مونتيه) : ان احتفاظ المسلم بعقيدته وفيها ما يوجب عظيم احترامها ، وممارسته لآداب لغته ، وفيها ما يدعو للاعجاب بها ، لا يحولان قط دون تحرير الاسلام . فان الاسلام يمكنه في تطوره ان يتمشى جنباً لجنب مع أرقى الامم التي تحكم العالم الآن ويتخذ سبيلها التي رسمته للحياة والمدنية من غير ان يحمل المسلم على ترك عقائده أو ينصرف عن ممارسة لغته الجميلة وآدابها الرائعة

أما الآداب والشعر فيسيران ببطء طبعاً لانهما يتعلقان باللغة القومية لكل أمة ولا يتطور أحدهما الا رويداً رويداً بنقل أدب اللغات الاخرى على ما يألفه ذوق الامة المنقول الى لغتها . وناهيك ما كان لادب اللغة الفارسية من الاثر البين في أدب اللغة العربية كما يتضح من الفرق بين الشعر الجاهلي وشعر المولدين

حبذا لو أقلع الشعراء في قرض الشعر العربي عن مألوف العادة بجعل القصيدة الواحدة من مختلف الابحر والقوافي كما هي سنن الفرنج ليجد الشاعر مجالا متسعاً لتصوير عواطفه وتمثيل أفكاره لا سيما في وضع الروايات التمثيلية المنظومة (كالابرا) المحرومة منها

اللغة العربية واللغات الشرقية عامة ولنا في فنون الادب الاندلسي خير قدوة وأقوم مثال

أما التربية فيجب حتما ان تكون على الاصول الدينية للمسلمين وغيرهم من الشرقيين فان التربية اذا خلت من عواطف الدين كانت ضعيفة الاثر في الاخلاق والضمائر فليس كالدين في سلطانه على الضمائر ولا يخفى عليك ان العظمة الشخصية والقوة المعنوية للامم لا تأتي الا من طريق الدرس المنظم أو التربية العملية للعقل والقلب معاً

مصر　　　　　　　　　　امين واصف

العلامة «مستهل»

ان ما نراه من النهضة في الديار العربية اللسان ، يحملنا على القول بن هذه النهضة ليست فوراناً وقتياً ، وانما هو نتيجة أربعة أمور ، وهي : (١) انتباه العرب من سباتهم الطويل (٢) الميل الى الحياة القومية (٣) بقاء القوم ببقاء لغته وأخلاقه ومقومات مجتمعه وحياته الفكرية (٤) ضغط الأغراب عليه

١ ـ أما انتباه العرب في عصرنا فظاهر من ان سكان جميع الديار الناطقة بالضاد ، تدفع ابناءها الى تحصيل العلوم ، واتقان الفنون ، والوقوف على اسرار الصنائع والبدائع ، والتصعيد في مكارم الاخلاق ، وتنزيه الطباع عن شوائب النفس الحيوانية الامارة بالسوء ، وكلها أمور لا تتولد في أمة ، وتنمو في صدور اصحابها ، الا وتدفع اصحابها الى التبسط في العمران ، والتبحر في الحضارة ، والتسيطر على غيرها ممن يرسف في قيود ما يخالف هذه الوسائل المرقية ، الآخذة الى اوج الكمال

وتاريخ الامم في كل واد وناد هو أهدى دليل الى اثبات ما نراه . أوَ ليس السبات الذي وقع عليهم هو الذي أدى بهم الى التسفل الذي كانوا قد صاروا اليه قبل هذه اليقظة التي انتبهوا منها الآن ؟

٢ ـ وكيف لا ينهضون ، وفيهم من الميل الى التمسك بعروة قوميتهم ، على وجه لا يقل شدة او قوة عما يشاهد في غيرهم من الاجيال التي هي دونهم سعياً وهمة ونشاطاً ؟ ـ او ليست القومية هي اليوم مطمح كل امة ، وضالة كل قبيل ، او لا تعلم انه لا يفوز بها الا من توفرت فيه خصال الذود عن الوطن ، والذب عن حياض الحرمات ، وبذل المهج في سبيل تحقيق الاماني ، والجلد والمثابرة على تحصيل ما يمني المرء به نفسه

وما الحياة الا هذه الاعمال من تعويض ما يندثر في جسم المجتمع من الخلايا ، لما يقع فيها ما يضنيها او يفنيها ، وابدالها بما يقوم مقامها ، او بما هو احسن مما اندثر منها . وهذه الامارات ، امارات الحياة الجديدة ترى متدفقة السيل في المجتمع العربي ، اذ لا يزال السقيم من مندثره يبدل بأصلح منه وأصح ، بحيث يعوض عنه أحسن تعويض ، الى ان يتم على وجه سوي فيتكامل

٣ ـ والقوم الذي بقي في وسط اجيال مختلفة اللسان والنجاد والاخلاق والبيئة ، وقاوم مقوضات الامم وقوارضها ، يبقى ما بقي الدهر . وما من باق الا ويثوب اليه رشده ، ويعود اليه ماء عوده ، فتتجدد في معاطفه مقومات الحياة ، على حد ما يرى في تجددات الطبيعة وكرات معادها الى الشباب كلما انتابتها نوبة الصيف أو الخريف او الشتاء

وانت خبير بأن لسان العرب قتل كل لسان سواه كان في

الديار التي عرف فيها ، اذ في لسان العرب من قوة الحياة ، وجواهر النمو ، واداء المراد مما ينشأ من بلوغ الحضارة الرقي النازعة اليه في كل عصر ومصر ، ما يشهد له آداب العرب ، وتبسطهم في العمران . ونقل كتب الاعاجم على اختلاف عناصرهم وانمائهم وبيئاتهم ، ومما يجعل لهذه اللغة الفذة المقام الرفيع بين لغات العالم . وهي — ان شاء علماؤها — تؤدي لهم كل ما يحتاج اليه ابناء العصر من المعاني الطريفة ، والاوضاع الحديثة ، بدون ان يمدوا ايديهم الى سائر اللغات الاجنبية

وفي اخلاق العرب من بذور المكارم ما قلما يرى مثيله في سائر الاقوام . والاجناب[1] لا ينكرون عليهم هذه المناقب الجليلة ، بل يصرحون بها أوضح تصريح في اسفارهم وصحفهم . هذا فضلا عن حالتهم الفكرية ففيها من الصفات ما لا يمتزج بفكرية ابناء الغرب ابد الدهر ، وفيها من السذاجة والمتانة والقوة ما يفيض على اصحابها بحياة لا تعرف الزوال ، بل تعرف البقاء ما بقي الدهر

٤ — على ان الذي يزيد هذه الحياة نشاطاً ونمواً حثيثاً ، ويدفعها الى التفجر والتدفق محاولة الاجانب قتلها او خنقها . وكل قوة او فعل أكره على الانحصار ، او على الاختناء ، او على الاخبات ، او حاول الغير خنقه او قتله باتخاذ وسائل عنيفة او شديدة ، تنقاد له تلك القوة صاغرة الى مدة ، واذا جمعت تلك القوة المحصورة مما يتحلب اليها سراً من هنا وهنالك ، تفجرت بشدة لا يقوى عليها

(١) جمع جنب اي اجنبي

أدهى الدهاة لكبحها ، بل ولا اقوى القوى لان هذه لا تأتي الا من بعد اندفاق السيل الجحاف ومن بعد ان يكون هذا السيل قد جرف باندفاعه كل ما قام في وجهه من العقبات

وعليه اذا كان ابناء الغرب يتمكنون اليوم من الضغط على أبناء عدنان وقحطان فانه تأتي ساعة لا يعرفونها ، وهي الساعة التي تفيض فيها حياة الناطقين بالضاد ، ساعة قد عجلوا في قدومها ، فيندمون فيها كل الندم ، ولات ساعة مندم

أما اعتقادنا بامكان تضامن هذه الاقطار وتآلفها ، ومتى ، وبأي العوامل ، وما شأن اللغة في ذلك . فجوابنا عليه واضح مما تقدم بسطه في صدر هذا الفصل ، فان تضامن هذه الديار وتآلفها ممكن . بل لا بد منه ، لان نزعات تلك النفوس واحدة ، والضغط عليها واحد ، ومحاولة العرب التخلص من قهر الغرباء لهم بين في جميع تلك الربوع ، والحياة القومية سائرة في وجهها اضطراراً لا محيد عنه

اما متى يكون هذا التضامن ، فانما يتم عند نضج القوى الثانوية المقومة للقوة الاولى أو العظمى . والقوى الثانوية هي قوة العلم وحسن الاخلاق وقوة المال ، وقوة الزراعة والصناعة ، وبدون هذه القوى ، ليس من قوة حقيقية للامة ، وليس لها من حياة صادقة معمرة ، فهي العوامل الفعالة ، الموصلة الى الغاية التي ترمي اليها الشعوب في حضارتها وعمرانها الدنيوي

فعلى ابناء يعرب السعي وراء تشديد القوى الثانوية من ترقية العلم ، وتحسين الاخلاق ، واكتناز المال من باب الحلال ، واتقان الزراعة ، وتعميم الصناعة التي تستغني بها امة عن امة للبلوغ الى مطلبها العزيز

اما وجوب اقتباس العرب لعناصر المدنية الغربية فظاهر من تنازع البقاء ، واتخاذ أكمل الأسلحة لمقارعة الأقران

انك اذا أردت اليوم ان تحارب قوماً يحاول البطش بك فانك تلجأ الى اقوى سلاح ، ولا يمكنك ان تلجأ الى الاسلحة التي كانت تستعمل في القرون الخالية ، بل ولا يجوز لك ان تفكر بها لحظة من الزمن ،اذ يفوتك الوقت ويتسلط عليك عدوك وتصبح أسيراً له

والمدنية الغربية نتيجة عقول عديدة مفكرة ، وعجينة مختمرة قد حان لك ان تخبزها لتأكلها فكيف تحاول ان تحيا ولم يبق فيك الا الرمق الذي يمكنك ان تحافظ عليه بأكل ما تيسر لك تحت يدك ، وكيف تدعه ، وتذهب الى زرع حنطة جديدة وسقيها ، والاعتناء بها ، وحصد سنبلها ، واخراج حبها ، وطحنه ، وعجنه، وتخميره، وخبزه. فكما انك تضحك من هذا الرجل الذي يأبى ان يأكل مما تيسر له من الخبز المعد له ليعود الى مبادىء اتخاذ الخبز للمعيشة ، تضحك ايضاً ممن يعدل عن اقتباس معدات الحضارة العصرية ، استهجاناً لها ، او تمسكا بما كان بيد السلف الصالح من الوسائل التي كانت حسنة في وقتها واصبحت اليوم

قاصرة عن ايصالنا الى كمية آمالنا

واذا كان لا بد من اقتباس وسائل المدنية الغربية فيجب أن يكون بقدر يكفينا ، فاذا زاد عن الكفاية أضرنا ، وهو الامر الذي يرى في كل شيء من طعام وشراب ولباس ومنام ، فاذا زاد كل من هذه الامور عن اللازم ، انقلب وبالاً علينا بعد ان كان خيراً لنا

والقدر الذي يحسن بنا ان نتخذه ، يجب ان يكون ملائماً لأخلاقنا ، وبيئتنا ، وعوائدنا الحسنة (لا السيئة) ، وبلادنا ، وهوائها ، مما يشير به علينا اصحاب العقول النيرة والخبرة الصادقة ، والعمل الصالح ، والآداب المحمودة

أ ـ ففي النظامات السياسية الحديثة ينحصر منها في الحكم الجمهوري (الديمقراطي)

ب ـ وفي الادب والشعر نأخذ منها ما يدنينا من تمثيل الحقائق ووصفها بأقرب وجه وأحسنه ، وما كان يقال سابقاً « اكذب الشعر أطيبه » لا معنى له في عصرنا هذا ، عصر التحقيق والتدقيق . وكذا يقال عن فروع الأدب

ج ـ واما العادات الاجتماعية ، فلقد نشأ منها عند الغربيين ما أصبحت لهم ادواء ساحقة . ان لم تكن ماحقة ، وهي اذا دخلت في مجتمعنا لاشته بالمرة ، فانواع المقامرات ، وضروب المسكرات ، والتردد الى المواخير ، والسهر الطويل ، ومشاهدة الصور المندية للجبين ، ومطالعة الكتب المفسدة والارياء المنكرة ، الى ما ضاهى

هذه الاسباب اسباب الهلاك والاهلاك ، كل ذلك مما يجب أن ينفى من حضارتنا العربية ، والا فان اخذنا من مدنية الغرب هذه العوامل الناسفة ، فقرأ على رقينا السلام ، وعلى أسباب عزنا وفخرنا الوداع الاخير

د – ونأخذ من تربيتهم وتعليمهم ما يربي في ناشئتنا النفس ويعودها مكارم الاخلاق ويشنع عليها الرذائل والمنكرات ، ويحبب لها محاسن الدين ، والعمل باوامره ، والارعواء بنواهيه ، فالنفس هي اول ما يجب ان يعنى بها لانها العامل الاول ، ومهما يتخذ من الوسائل لاصلاح المرء فلا تكون الا وسائل لا اثر لها على مصدر أعماله الذي هو النفس ، وقد قيل :

عليك بالنفس فاستكمل فضائلها   فانت بالنفس لا بالجسم انسان

ومع تربية النفس يربى الجسم تربية تمكنه من مقاومة الامراض ، وتقلبات الجو وأحواله . واحسن طريقة لتربية الجسم هي التربية الالمانية فانها اظهرت من محمود النتائج في هذه الحرب ما لا ينكر ، وان دارت الرحى على الالمان لأسباب اخرى . كما ان أحسن تربية للنفس هي تربية البلجيكيين ، فانها جمعت بين الطريقة السكسونية واللاتينية فكان لها التفوق . وعلماء بلجيكا بالنظر الى عددهم هم أوفر عدداً وأغزر علماً ، ولهذا نرى في مدارسها طلبة من جميع الدول ومن مختلف العناصر . وكفى بالنتيجة الحسنى دليلا على ما نذهب اليه . وهو الهادي الى سواء السبيل

بغداد   « مستهل »

جميل صدقي الزهاوي

اجيب على السؤال الاول ان مصر هي اليوم بمثابة الرأس لجسد المجتمع في الشرق العربي وأهلها المتعلمون اكثر من غيرهم من سائر الاقطار العربية والكتب التي تؤلف فيها او تعرّب ومجلاتها وجرائدها تتوارد بكثرة الى بقية الاقطار فهذه كلها تفتق الاذهان وتنبه الرقود . مصر قد نالت نصيباً غير قليل من العلم فهي خليقة بان أرى في نهضتها ما يعطي شيئاً من الامل وتتلوها اختها سورية ثم أخوها العراق . غير ان بقية الاقطار لم يزل أهلها راقدين في ليل من الجهل مظلم لا نجوم في سمائه واذا هبت هنالك بعض الآونة زوبعة فانها تثور في الغالب باسم الدين الذي لا تهمه في الاكثر الدنيا والحياة كما هي الحالة في اليمن والحجاز ونجد

أما العراق فتكاد تكون حلقة وسطى بين مصر وهذه البلاد التي لم تبزغ عليها بعد شمس العلم وعلى كل حالة فان نهضة سورية والعراق تابعة لنهضة مصر واعتقد ان نهضة مصر قائمة على أساس وان لم يكن هذا الاساس اليوم وطيداً وهي تبعث الامل بالبقاء وان لم يكن ذلك الامل بعد قوياً

العلم في الغرب جمّ ... العلم في للشرق نزر
في الغرب للعلم مدّ ... في الشرق للعلم جزر

نحن لا نيأس من نهضتنا فاذا كانت ضعيفة وجب ان نقويها

يبث العلم وتعميم التربية فنعيد مجد الوطن المهان

يا لثدي قد غذت قو — مي جيلا بعد جيل
ولأم حضنت صحـ — بي واهلي وقبيلي
اخدموا الشعب بصدق — واذكروه باحترام
لا تخونوا الشعب فالـ — شعب عزيز ذو انتقام
انا وازنت كثيراً — بين موتي وبقائي
فوجدت الموت أولى — من بقائي في الشقاء
ليس يغضي العربيّ الـ — عين ان سيم صغارا
انه يسخط ان أغـ — ضى معدّاً ونزارا
ايها الشرق انتبه ويـ — حك من هذا السبات
واعددنّ من العلـ — م سلاحاً للحياة

مصر هي اليوم نواة لسديم حيوي يتألف منه نظام اجتماعي او هي جنين تتكوّن منه في المستقبل امبراطورية عربية مترامية الاطراف وسينمو هـذا الجنين ويابس لحماً ودماً وافرين ويبني له عظاماً قوية يستند اليها في حركاته . هذا اذا سارت مصر في طريق تقدمها سيراً حثيثاً مستمراً واقتبست العلوم العصرية بتفاصيلها فاكسبتها هذه مرونة تستطيع بها ان تنطلق على ضرورات الزمان فتتخلص من التقاليد المؤخرة والاعتقادات الباطلة المثبطة للعزم والعادات الضارة بالمجتمع وتنظم الاسر والعائلات نظاماً نافعاً يجعل الجنسين يدأبان معاً للتقدم في سبيل الحياة الشاقة

يرجع الشعب فريقا ن اناث وذكور
وهل الطائر الا بجناحيه يطير

الويل كل الويل للعرب اذا اخفقت مصر لا سمح الله في طلب استقلالها الى النهاية فما هنالك الا الموت الذي يعقب الداء العضال بعد تعذيب صاحبه او اليأس الذي هو أحلك من ظلام القبر

يا طبيبي جس نبضي ثم شخص لي دائي
ثم صف لي بعد تشـ خيصك للداء دوائي
اذكريني وتعالي قبلما الوقت يفوت
واحضري ساعة موتي وانظري كيف اموت

***

واجيب على السؤال الثاني باني معتقد بامكان تضامن الاقطار العربية وتآلفها بالفعل بعد خمس عشرة سنة او عشرين على الاقل وقد بدت تباشير هذا التضامن في كل قطر من الاقطار العربية على قدر انتباه أهله من سنة الغفلة فان أهل هذه الاقطار أخذوا يتألمون بألم واحد ويتحسسون باحساس واحد . والعامل الاول في ذلك هو الكتب التي تنشر في مصر سواء كانت مؤلفة او معربة والجرائد السيارة والمجلات العلمية والادبية فان كل هذه تنير العقول وتنبه الاذهان وتربط المتنائين وتجمع كلمتهم وتبعث فيهم روح الوحدة وتعلم الناس كيف يجب ان يسيروا في سبيل اجتماعهم

وكيف يقتحمون العقبات للحصول على استقلالهم . والعامل الثاني هو البعثات الى الاقطار العربية والمراسلات والثالث هو تأليف جمعيات لهذه الغاية والرابع هو دافع طبيعي اعني به الاشتراك في البأساء التي تجلبها سيطرة الاجانب على شعوب كانت مطمئنة في بلادها لم تأت ما يضر بغيرهـا فانه يجمع القلوب ويلهمهم الاتحاد والتعاون

وشأن اللغة في كل ذلك كبير فانها الرابطة العنصرية التي هي أقوى الروابط والجامعة الطبيعية للشعوب والواسطة الوحيدة للوحدة والتضامن والتفاهم

العروبة قائمة باللغة فما من عروة الا أمكن انفصامها سوى هذه فان عروتها ممتدة الى تلافيف الادمغة ومتفرعة في شادع الارواح. واللغة هي التي حفظت الى اليوم بيضة العرب وعصمتهم من الاندماج في الشعوب التي تملكتهم عصوراً . وهي التي جعلت ابناءها يتساءلون عن بعضهم ويتراسلون فيما بينهم ويتشاكون

واني لا أزال مؤملا تضامن الاقطار العربية ما دامت لغتهم حية يتكلمون بها ويتكاتبون ويبثون بواسطتها افكارهم واحساساتهم أما اذا ماتت اللغة فلا تضامن ولا وحدة ولا عروبة ولا حياة

هنالك يذكر التاريخ بين الامم البائدة أمة باسم « العرب » ممجداً آباءها الفاتحين ومقبحاً أبناءها الكسالى الذين ساروا ضد

سنن الارتقاء فجمدوا على القديم وأبوا أن يتهذبوا بما يوافق روح عصرهم فلفظتهم الارض ومقتتهم السماء حتى بادوا وطمست لغتهم التي هي من أوسع اللغات وأغناها وأنسبها للبقاء

لا يعيش امرؤ على الارض ما لم يتدرع لقارعات المحيط
في جدال الحياة قد كتب الفو ز على الارض للقوي النشيط

***

وعلى السؤال الثالث باني اعتقد بوجوب اقتباس عناصر المدنية الغربية لا سيما الديمقراطية فانها هي وحدها سبيل السعادة عدا ان هذا الاقتباس سبب لاسراعنا في التقدم لانا اذا تأخرنا عن اقتباسها اضطررنا أن نولد عناصر لتمدننا من العدم وهذا لا يتم الا في عصور فيكون مشينا الى الامام وئيداً في حين نشاهد الامم الغربية تخب في تقدمها وثوباً

ليس الذي جاء يمشي اليوم متئداً بسابق للالى من قبله ركضوا

ثم ان مباينة عناصر المدنية بين الشرق العربي والغرب مع الاحتكاك الذي توجبه حضارة العصر تجعل العربي صغيراً في عين الغربي فلا يراه نظيراً له وهذا يضر بالعربي الذي يريد ان يساوي الغربي . وقد أخذنا منذ زمان غير قصير نقلدهم في اللبس والمأكل والمركب فلماذا لا نتوسع فنحذو حذوهم فيما هو أهم منها للحياة الاجتماعية ولا أرى أن نجعل حداً لهذا الاقتباس الذي هو قسم من الرقي الذي ننشده حاثين مطايا افكارنا للوصول اليه ولا أن

يقف عند حد الا في بعض الخصوصيات كما سيأتي . غير ان هذا الاقتباس يجب أن لا يكون مرة واحدة بل تدريجياً على قدر الاستعداد والتعلم الا أن التعجيل في احضار هذا الاستعداد واجب واذا استطعنا في خلال رقينا أن نولد عنصراً جديداً للمدنية غير العناصر المقتبسة فلا بأس في اضافته الى ما نكون قد اقتبسناه

ا ـ يجب ان نقتبس من النظامات السياسية الحديثة ما يوافقنا ويلائم درجتنا اليوم من الرقي من النظامات توضع لدفع حاجات الامم وهي تترقى متناسبة مع رقيها الذي تختلف درجته والاصوب أن تكون مبنية على تجارب اهلها

حبذا القانون ان سد احتياجات الشعوب
واذا قصر فالقا نون من أدنى الخطوب

ب ـ يجب ان نجعل الطبيعة انموذجاً للادب والشعر كما جعل الغربيون فنتحدى الحقيقة في الآداب الجميلة جمعاء ومنها الشعر فلا نخرج به عن حد الواقع بل يجب أن يبقى الشعر ترجماناً لشعور قائله

حبذا الشعر اذا كا ن مثيراً للشعور
واذا كان نزيهاً كأغاريد الطيور

أما نفس الشعور فلا يجوز ان يكون مخالفاً لشعور العرب فان شعور كل أمة خاص بها لا يشبه شعور غيرها من الامم اللهم الا فيما كان مشتركا بين الامتين

والذي يسعى لجعل الشاعر العربي يقول كما يقول الغربي هو

كالذي يحاول أن يجعل العندليب يصيح صياح الديكة أو الديك يغرد تغريد العنادل . ألم تر ان الشعر الافرنجي الذي يترجم الى العربية أو الشعر العربي المترجم الى الافرنجية يكون في الغالب غثاً بارداً وان كان المترجم متضلعاً في اللغتين . وما ذلك الا لان الامة الواحدة لا تشعر شعور الثانية الا في المشترك كما تقدم

ولا أعني بما قلته أن يجمد الشعر العربي على ما هو عليه اليوم بل يجب ان يترقى عن منزلته ثم يجب أن يترقى بابتكار المعاني وتحدي الحقيقة ومجاراة الطبيعة ومطابقة الوقت الموصوف فيحذو في كل ذلك حذو الشعر الافرنجي مع المحافظة على الجزالة والاساليب العربية مشترطاً في كل ذلك على قائله ان لا يخرج عن الشعور العربي الذي هو روح شعره فكلما تقدم الشعور تقدم الشعر

ج ـ واقتباس العادات الاجتماعية مثل اقتباس النظامات السياسية يجب أن يكون تدريجياً وسبب الاخذ بها هو كثرة الاحتكاك بالغربيين فلا أود ان يكون للعرب صغار في عيون أمم رفعتهم قواعد اجتماعهم فاعتقدوا ان من لم يبن عليها يكون منحطاً . وهذا لا يوجب علينا أن نقتبس من عاداتهم ما تتحقق مضرته بل نتحاشى ما نراه مضراً كما تحاشى اليابانيون

د ـ واما التربية والتعليم فنحن في حاجة الى اقتباسنا اياهما منهم لانهم وصلوا اليها بتجارب طويلة استغرقت عصوراً وأحقاباً . ولو رجحنا أن نتقدم فيهم بتجاربنا لتأخرنا عنهم تأخراً بعيداً وفاتونا

اشواطاً فلا يبقى لنا زمان للحوق بهم . وأخاف ان يمنعنا التعصب الأعمى والجهل البليد من أن نحذو فيها حذو الغربيين فيزداد البون بيننا مع الزمان وتطول شقة الخلاف . هم يرتقون اكثر مما هم عليه اليوم ونحن نبقى في مكاننا واقفين فنكون بالنسبة اليهم كالقرود لا سمح الله بالنسبة الينا وهذه حقيقة يجب أن لا يُستاء منها وان جرحت

كلما فكرت في الامـ ر تولاني ارتجاف
أنا من مستقبل النـا س على الناس أخاف

بغداد جميل صدقي الزهاوي

الاستاذ وليم وريل الاميركي

١ ـ لا أعتقد ان نهضة العرب الحاضرة قائمة الآن على أساس متين يضمن بقاءها . فهي لا تزال في رأيي فوراناً قد أثاره القلق السياسي العام والافكار الشائعة عن الوطنية وتقرير المصير . ولست أعني بقولي هذا ان هـذه النهضة وقتية لن تدوم فقد تدب فيها الحياة وتتوطد

٢ ـ لا أؤمن بامكان ضمان الثقافة العربية ضماناً مصطنعاً كما لا أؤمن بجمع شتات البلاد العربيـة في وحدة مصطنعة . أما اذا نشأت بين العرب حضارة حديثة قوية يشتركون فيها جميعاً فانهم عندئذٍ يتحدون بباعث من انفسهم ويستطيعون صد الثقافة الاجنبية . وقد أوضحت في احد أعداد الهلال واسهبت في بيان مهمة اللغة العربية نحو هذه الحركة . ولا توجد الآن حضارة عربية منفصلة عن الاسلام . كما لا توجد آداب عربية حديثة ترجع في أصلها الى الحياة الراهنة اوتكتب بلغة الحياة الحاضرة . ولا يمكن أن توجد آداب للأمة الا اذا كتبت بلغة الامة

٣ ـ ليست المسألة مسألة بحث عما اذا كان يجب على قاطني البلاد العربيـة ان يقترضوا مبادىء الحضارة الغربية او لا يجب . فقد اقترضوا شيئاً كثيراً . وذلك لأن ضرورة البقاء قد حتمت عليهم وهم ينافسون الامم التي سبقتهم في التقدم ـ او التقدم المادي على

الاقل ـ أن يقترضوا مبادىء حضارتهم . ولكن جميع الحضارات تتقارض بلا تمييز وكثير مما هو غربي الآن قد أخذ من الشرق سابقاً

وعند أي حد يجب ان يقف هذا الافتراض ؟ الجواب على ذلك أن ما يمكن لحضارة ما ان تستعيره من حضارة أخرى دون تعديل أو تحوير قليل جداً . وان العالم ليخسر شيئاً كثيراً اذا صار العرب مسخاً اوربياً أو اميركياً

ولا تزال الديمقراطية رهن التجربة للآن حتى في أميركا التي كان يظن انها البلاد التي سيقرر مصيرها فيها . ومع ذلك فالعالم بأجمعه يؤمن بالديمقراطيــة وينتظر من ورائها خيراً . على انه يجب ألا ننسى ان الديمقراطية تحتاج الى التعليم العام الذي لم ينتشر بعد في البلاد العربية كما انها تحتاج الى وجود « روح عامة » يظهر لنا نحن الغربيين انها لم تتكون بعد في الشرق . ففي الشرق يوجد ولاء للقبيلة أو للأسرة أو للدين وفيــه أيضاً وطنية في طور الابتداء والتكوين ولـكن ليس هناك روح عامة أو ميل عام لفعل الخير . ولهذا السبب لا يتيسر الآن ايجاد حكومة ذاتية في بلاد العرب ولـكن اذا أوجدت فيجب أن تبنى على أساس المساواة في حق التصويت . واني وان كنت أميركياً أعتقد انه يجب على الشرق أن يحتذي الديمقراطية الانجليزية فينقل عنها . وأفضل هذه

الديمقراطية على ديمقراطيتنا لما في هذه من خلل وارتباك في الوقت الحاضر

ويمكن ترقية الآداب وبخاصة الشعر اذا حاول الكاتبون معالجة الحياة الراهنة في البلاد العربية واذا كانوا يكتبون بدون تكلف باحد الاساليب المصفاة من لغة الامة . فانما ترتفع الآداب وترقى بمقدار ما في وسائل التعبير من سهولة

اما في العادات الاجتماعية فان للعرب ميراثاً لا ينبغي ان يطرح . ولكن تحرير المرأة — على الرغم من خطره في الغرب وعلى الرغم من انه سيكون أخطر من ذلك في الشرق اذا فوجىء به — ينبغي أن يتم

أما في التربية فالشرق العربي في حاجة الى تعليم يزرع في أبنائه التسامح دون الكفر . والعادة أن نجد الآن في أحد الجانبين ايماناً مقروناً بالتعصب الاعمى وفي الجانب الآخر نجد تعليما مقروناً بالعداء للدين

وفي الوقت الراهن يجب على الشرقيين أن يدرسوا الاقتصاد والعلوم الطبيعية

(ترجمة) و . وريل

السيد مصطفى صادق الرافعي

لا ريب في ان النهضة واقعة في الاقطار العربية مستطيرة في أرجائها استطارة الشرر يضرم في كل جهة ناراً حامية ويستمد من كل ما يتصل به لعنصره الملتهب . ولا ريب في ان الشرق قد تفلت من أوهام السياسة وخرافاتها ، وقد اختلف على الغرب بعد ان طابقه زمناً وتابعه مدة وعرفه بمقدار ما بلاه وكذبه بقدر ما صدقه ونفر منه بقدر ما اطمأن اليه . ولا ريب في ان العقل الشرقي قد تطور وأدرك معنى نكث العهد ونقض الشرط في السياسة الغربية وعلم أن ذلك هو بعينه العهد والشرط في هذه السياسة ما دامت المفاوضة والتعاقد بين الذئب والشاة . . . ولا ريب ان الشرق يجاذب الآن مقاليده التي ألقاها ويضرب على سلاسله التي تقيد بها ويكابد الصعود والهبوط في نهضته هذه وقد كان بلغ من اغضائه على الذل وقراره على الضيم وجهله وتجاهله أن اوربا ربطت أقطاره كلها في بضعة أساطيل تجذبها جذب الكواكب للارض

غير أني مع هذا كله لا أسمي هذه النهضة نهضة الا من باب المجاز والتوسع في العبارة والدلالة بما كان على ما يكون فان أسباب النهضة الصحيحة التي تطرد اطراد الزمن وتنمو نمو الشباب وتندفع اندفاع العمر الى أجل بعينه لا يزال بيننا وبينها مثل هـذا الموت

الذي يفصل بيننا وبين سلفنا وأوليتنا . والا فأين الاخلاق الشرقية وأين المزاج العقلي الصحيح لأمم الشرق وما هذا الذي نحن فيه من روح لا شرقية ولا غربية ؟ ثم أين المصلحون الذين لا يساومون بملك ولا امارة ولا يطلبون بالاصلاح غرضاً من أغراض الدنيا أو باطلا من زخرفها : ثم أين اولئك الذين تجعلهم مبادئهم المالية القوية أول ضحاياها وتروي منهم عرق الثرى الذي يغتذي من بقايا الأجداد لينبت منه الاحفاد ؟

ان الجواب على نهضة أمة نهضة ثابتة لا يكون من الكلام وفنونه بل من مبدأ ثابت مستمر يعمل عمله في نفوس أهلها ولن يكون هذا المبدأ كذلك الا اذا كان قائماً على أربعة أركان : ارادة قوية وخلق عزيز واستهانة بالحياة وصبغة خاصة بلامة

فأما الارادة القوية فلا تنقص الشرقيين وانما الفضل فيها لساسة الغرب الذين بصروننا بأنفسنا اذ وضعونا مع الامم الاخرى أمام مرآة واحدة وجعلوا يقولون مع ذلك اننا غير هؤلاء وان هذا الانسان الذي في المرآة غير هذا القرد الذي فيها . . . . ولكن أين الخلق وأين العزة القومية وأين العصبية الشرقية وهذه مفاسد اوربا كلها تنصب في اخلاق الشرقيين كما تنصب أقذار مدينة كبيرة في نهر صغير عذب . فلا الدين بقي فينا اخلاقاً ولا الاخلاق بقيت فينا ديناً وأصبحت الميزة الشرقية فاسدة من كل وجوهها في الروح والذوق ولم يعد لنا شيء يمكن أن يسمى المدنية الشرقية .

وأخذ الحمقى والضعفاء منا يحاولون في اصلاحهم أن يؤلفوا الأمة على خلق جديد ينتزعونه من المدنية الغربية ولا يعلمون ان الخلق الطارىء لا يرسخ بمقدار ما يفسد من الاخلاق الراسخة . وهم يغتبطون اذا قيل لهم مثلا ان مصر قطعة من اوربا ولا يعلمون ما تحت هذه الكلمة من تعطيل المدنية الشرقية والذهاب بها وافسادها وتعريضها للذم وتسليط البلاء عليها مما لا حاجة بنا الى التبسط في شرحه

لست أقول ان نهضة الشرق العربي لا أساس لها فان لها أساساً من حمية الشباب وعلم المتعلمين ومن جهل أوربا الذي كشفته الحرب ولكن هذا كله على قوته وكفايته في بعض الاحيان لاقامة الاحداث الكبرى واهتياج العواصف السياسية لا يحمل ثقل الزمن الممتد ولا يكفي لان يكون أساساً وطيداً يقوم عليه بناء عدة قرون من الحضارة الشرقية العالية بل ما أسرعه الى الهدم والنقض لو صدمته الاساليب اللينة من الدهاء الاوربي على اختلافها . . . اذا قدر لأوربا أن تفوز بأسلوبها الجديد أسلوب استعباد الشرق بالصداقة . . . على طريقة ادعاء الثعلب للدجاج انه قد حج وتاب وجاء ليصلي بها . . .

والذي أراه ان نهضة هذا الشرق العربي لا تعتبر قائمة على أساس وطيد الا اذا نهض بها الركنان الخالدان : الدين الاسلامي واللغة العربية وما عداهما فعسى أن لا تكون له قيمة في حكم الزمن الذي لا يقطع بحكمه على شيء الا بشاهدين من المبدأ والنهاية

وظاهر ان أغلبية الشرق العربي ومادته العظمى هي التي تدين بالاسلام وما الاسلام في حقيقته الا مجموعة اخلاق قوية ترمي الى شد المجموع من كل جهة . ولعمري اني لأحسب عظماء أمريكا كأنهم مسلمو التاريخ الحديث في معظم أخلاقهم لولا شيء من الفرق هو الذي لا يمنعهم ان ينحطوا اذا هم بلغوا القمة فان من عجائب الدنيا أن قمة الحضارة الرفيعة هي بعينها مبدأ سقوط الأمم . وهـذا عندنا هو السر في أن الدين الاسلامي يكره لأهله أنواع الترف والزينة والاسترخاء ولا يرى النحت والتصوير والموسيقى والمغالاة فيها وفي الشعر الا من المكروهات بل قد يكون فيها ما يحرم ان وجد سبب لتحريمه اذ كانت هذه الفنون في الغالب وفي الطبيعة الانسانية هي التي تؤدي في نهايتها الى سقوط أخلاق الامة بما تستتبعه من أساليب الرفاهية والضعف المتفنن وما تحدثه للنفس من فنون اللذات والاغراق فيها والاستهتار بها . وما سقطت الدولة الرومانية ولا الدولة العربية الا بكأس وامرأة ووتر وخيال شعري يفتن في هذه الثلاثة ويزينها

واذا كان لا بد للأمة في نهضتها من ان تتغير فان رجوعنا الى الاخلاق الاسلامية الكريمة أعظم ما يصلح لنا من التغير وما نصلح به منه فلقد بعد ما بيننا وبين بعضها وانقطع ما بيننا وبين البعض الآخر ؛ واذا نحن نبذنا الخمر والفجور والقمار والكذب والرياء ، واذا أنفنا من التخنث والتبرج والاستهتار بالمنكرات

والمبالغة في المجون والسخف والرقاعة . واذا اخذنا في اسباب القوة واصطنعنا الاخلاق المتينة من الارادة والاقدام والحمية ، واذا جعلنا لنا صبغة خاصة تميزنا من سوانا وتدل على اننا اهل روح وخلق . اذا كان ذلك كله فلعمري اي ضير في ذلك كله وهل تلك الا الاخلاق الاسلامية الصحيحة وهل في الارض نهضة ثابتة تقوم على غيرها ؟

ان من خصائص هذا الدين الاخلاقي انه صلب فيما لا بد للنفس الانسانية منه اذا ارادت الكمال الانساني ولكنه مرن فيما لا بد منه لأحوال الازمنة المختلفة مما لا يأتي على اصول الاخلاق الكريمة . وليس يخفى انه لا يغني غناء الدين شيء في نهضة الأمم الشرقية خاصة فهو وحده الأصل الراسخ في الدماء والاعصاب . ومتى نهض المسلمون وهم مادة الشرق نهض اخوانهم في الوطن والمنفعة والعادة من اهل الملل الأخرى واضطروا ان يجانسوهم في اغلب اخلاقهم الاجتماعية ولا حجر على حريتهم في ذلك الا كبعض الحجر على حرية المريض اذا اوجرته الدواء المر

ولما كان المسلمون اخوة بنص دينهم وكانت مبادئهم واحدة ومنافعهم واحدة وكتابهم واحداً فلا جرم كان من السهل لو رجعوا الى اخلاق دينهم وانتبذوا ما يصدهم عنها ان يؤلفوا من الشرق كله دولا متحدة يحسب لها الغرب حساباً ذا ارقام لا تنتهي . . .
ولقد تمكن الغازي مصطفى كمال على ضعف وسائله واضطراب اموره

وتألب أعدائه أن يوجد اتباع هذا الاصل مجموعة دول اسلامية متحدة في بعض شأنها من سواحل بحر الأرخبيل الى حدود الهند فكيف لو قامت نهضة الشرق كله على الأصل بعينه ؟

ان هذا الشرق في حاجة الى المبادىء والاخلاق وهي مع ذلك كامنة فيه ومستقبله كامن فيها غير أنها لا تصلح في الكتب ولا في الفنون بل في الرجال القائمين عليها . فالقلوب والأدمغة هي أساس النهضة الصحيحة الثابتة واذا نحن تأملنا هذه النهضة الراهنة وجدنا أساسها خرباً من جهات كثيرة ووجدنا المكان الذي لا يملأه الا القلب الكبير ليس فيه الا خيال كاتب من الكتاب والموضع الذي لا يسده الا الرأس العظيم قد سدته قطعة من صحيفة . . .

ولقد تنبأ نبي هذا الدين (صلى الله عليه وسلم) بهذه الحالة التي انتهى اليها الشرق العربي بازاء الغرب فقال لاصحابه يوماً : كيف بكم اذا اجتمع عليكم بنو الاصفر[1] اجتماع الاكلة على القصاع ؟ فقال عمر رضي الله عنه : أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله أم من كثرة ؟ قال : بل من كثرة ولكنكم غثاء كغثاء السيل[2] قد أوهن قلوبكم حب الدنيا

فوهن القلوب بحب الدنيا على ما ينطوي في هذه العبارة من المعاني المختلفة هو علة الشرق ولا دواء لهذه العلة غير الاخلاق ولا

---

(١) بنو الاصفر هم الروم ومن اليهم من الاوربيين (٢) الغثاء ما تحمله السيل من الهشيم ونحوه مما تحطم وتعفن ولا قيمة له ولا قوة فيه

أخلاق بغير الدين الذي هو عمادها . ألا وان أساس النهضة قد وضع ولكن بقيت الصخرة الكبرى وستوضع يوماً وهذا ما أعتقده لان الغرب يدفع معنا هذه الصخرة ليقرها في موضعها من الاساس وهو يحسب انه يدفعنا نحن الى الحفرة ليدفننا فيها . . وهذا عمى في السياسة لا يكون الا بخذلان من الله لأمر قدره وقضاه

***

أما السؤال الثاني وهو امكان تضامن الاقطار الشرقية وتآلفها فجوابه فيما مر ولا بد أن يتم ذلك ولا عامل فيه اكبر من الاخلاق الاسلامية . أما متى يقع هذا التطور فعلم الله غير ما نعلم على ان من اكبر اسبابه ما لا بد ان يقع في اوربا . . . ولعله لا تمضي ستون سنة ينضج فيها ثلاثة اجيال حتى يصبغ الشرق في المصورات الجغرافية بألوان جديدة ؛ فاني ارى الشرق متجهاً بضعف وبدفع الحوادث الى الاصل الذي بينته آنفاً ومتى استقر عليه اصبح الشرقي في روحانيته واخلاقه استاذ الغربي المادي الذي سقطت اخلاقه وتراخت جوانب نفسه

ولقد فتحت انجلترا باب الاتحاد الاسلامي من حيث لا تشعر وهو هو ذلك الباب الذي دخل منه اليهود الى وطنهم المزعوم في فلسطين ودخل منه اليونان الى الاناضول ودخل منه الحلفاء الى الاستانة

أما شأن اللغة في ذلك فلا يستهان به لان ارتقاء العربية وآدابها

مما يفيد أعظم الفائدة في تجانس الامم الناطقين بها على اختلاف المذاهب والملل . والتجانس شرط لابد منه في الاتحاد وفي تقريب الفكر من الفكر والعاطفة من العاطفة فضلا عن ان ارتقاء اللغة شرط في الرجوع الى قوة الدين

***

واني أرى أنه لا ينبغي لأهل الاقطار العربية ان يقتبسوا من عناصر المدنية الغربية اقتباس التقليد بل اقتباس التحقيق بعد ان يعطوا كل شيء حقه من التمحيص ويقلبوه على حالتيه الشرقية والغربية فان التقليد لا يكون طبيعة الا في الطبقات المنحطة وصناعة التقليد وصناعة المسخ فرعان من أصل واحد وما قلد المقلد بلا بحث ولا روية الا أتى على شيء في نفسه من ملكة الابتكار وذهب ببعض خاصيته العقلية . على أننا لا نريد من ذلك أن لا نأخذ من القوم شيئاً فان الفرق بعيد بين الأخذ في المخترعات والعلوم وبين الاخذ من زخرف المدنية واهواء النفس وفنون الخيال ورونق الخبيث والطيب . اذ الفكر الانساني انما ينتج الانسانية كلها فليس هو ملكا لأمة دون أخرى وما العقل القوي الا جزء من قوة الطبيعة

فان نحن أخذنا من النظامات السياسية فلنأخذ ما يتفق مع الأصل الراسخ في آدابنا من الشورى والحرية الاجتماعية عند الحد الذي لا يجوز على اخلاق الأمة ولا يفسد مزاجها ولا يضعف قوتها

واذا نقلنا من الادب والشعر فلندع خرافات القوم وسخافاتهم الروائية الى لب الفكر ورائع الخيال وصميم الحكمة ولنتتبع طريقتهم في الاستقصاء والتحقيق وأسلوبهم في النقد والجدل وتأتيهم الى النفس الانسانية بتلك الاساليب البيانية الجميلة التي هي الحكمة بعينها

وأما في العادات الاجتماعية فلنذكر ان الشرق شرق والغرب غرب وما أرى هذه الكلمة تصدق الا في هذا المعنى وحده والقوم في نصف الارض ونحن في نصفها الآخر ولهم مزاج واقليم وطبيعة وميراث من كل ذلك ولنا ما يتفق وما يختلف . وان أدل الأدلة على استقلالنا أن ننسلخ من عادات القوم فان هذا يؤدي بلا ريب الى ابطال صفة التقليد فينا ويحملنا على ان نتخذ لانفسنا ما يلائم طبائعنا وينمي اذواقنا الخاصة بنا ويطلق لنا الحرية في الاستقلال الشخصي . ولقد كنا سادة الدنيا قبل ان كانت هذه العادات الغربية التي رأينا منها ومن اثرها فينا ما أفسد رجولة رجالنا وانوثة نسائنا على السواء وما هؤلاء الشبان المساكين الذين يدعون الى بعض هذه العادات ويعملون على بثها في طبقات الامة الا كالذي يحسب ان اوربا يمكن ان تدخل تحت طربوشه . . . ولقد غفلنا عن اننا ندعو الاوربيين الى انفسنا والى التسلط على بلادنا بانتحالنا عاداتهم الاجتماعية لانها نوع من المشاكلة بيننا وبينهم ووجه من التقريب بين جنسين يعين على اندماج اضعفهما في اقواهما ويضيق

دائرة الخلاف بينهما ثم هو من اين اعتبرته وجدته في فائدته للاوربيين اشبه بتليين اللقمة الصلبة تحت الاسنان القاطعة . وهل نسي الشرقيون ان لا حجة للغرب في استعبادهم الا انه يريد تمدينهم ؟

لقد كان غاندي الزعيم الهندي الشهير احكم أهل الشرق جميعاً فيما فعل بعادات الاوربيين وفي رجوعه الى كدح اليد الوطنية ونتاج العقل الشرقي فمتى يكون في كل قطر غاندي ؟

واما التربية والتعليم فان القوم اهتدوا لاسرار عظيمة في هذين الأصلين فلنأخذ كل ما صح منها وما لا عنت فيه ولنحرص الحرص كله على ما اهملوه من امر التربية الدينية فلا انبعاث للشرق العربي الا بهذه التربية على اصلح وجوهها واكمل معانيها . وحينما قلنا « الدين الاسلامي » فانما نريد الأخلاق التي قام بها والقانون الذي يسيطر من هذه الاخلاق على النفس الشرقية وهذا في رأينا هو كل شيء لأنه الاول والاخر

مصطفى صادق الرافعي

الاستاذ جبر ضومط

《 قضية كلية 》 « لا بد لكل نهضة سياسية من أسباب تدعو اليها ووجيه يسندها تستتبع وجاهته وجاهة بقية الوجهاء وينتفع هو وهم منها كل بحسب وجاهته ثم لا بد من مال ينفق على مروجيها والآخذين من الدعاة بنصرتها وتعميمها الى ان تبلغ غايتها » اه

نفهم بنهضة الشرق العربي النهضة التي نراها أمامنا الآن ونكاد نلمسها بأيدينا وهي نهضة سياسية تطلب الاستقلال السياسي والتخلص من جور اوربا الاقتصادي والجنسي . ونعني بالجور الجنسي ما ينظره جنس غالب الى جنس مغلوب وسيد الى مسود وقد يغني عن كل ذلك ان نقول كما ينظر الآن غربي الى شرقي أو أجنبي ولا سيما انكليزي أو فرنساوي الى وطني ...... في العراق وسوريا وحتى في نفس مصر زهرة الشرق العربي وروح النهضة الحالية وقلبها النابض

ولا بد لي قبل ان أبدأ كلامي عن هذه النهضة من تقدمة ما يأتي وهو :

اولا — اني أصور ما أصوره عن هذه النهضة وفقاً لما في ذهني كما فهمته من مطالعاتي وشعرت به من اختباراتي التي كانت تتابع

شهراً بعد شهر وسنة بعد سنة منذ صرت أتأثر من المحيط الذي حولي وأؤثر فيه الى الآن . ولا شك ان ما كنت أفهمه من مطالعاتي واختباراتي ومن المحيط حولي والحوادث التي تتعاقب فيه لم يبق على حالة واحدة بل كثيراً ما كان يتولاه النقض والابرام فتارة تنسخ معلوماتي اللاحقة معلوماتي السابقة وتارة تؤيدها وبالعكس . وكثيراً ما كنت أعدل عن فهم مضى الى فهم استجد ثم أعود فارجع عن المستجد المعدول اليه الى القديم المعدول عنه وبعبارة أخرى كثيراً ما تضاربت أفكاري وتناقضت مفهوماتي وأحكامي ونسخ سابقها لاحقها ولاحقها سابقها قبل ان استقرت على الشكل الذي أصوره الآن وهو شكل في ذهني لم أرجع فيه وأنا أصوره الى تاريخ مكتوب يمكنني الرجوع اليه كحجة والاستشهاد به بل لا أضمن ان توافق أفكاري ومفهوماتي الآن في مقالتي هذه كل او معظم افكاري ومفهوماتي وكتاباتي التي سبقت . ولذلك فمن ينتقدني في نفسه او في مجلة فلينتقد مفهوميتي نفسها لا زمان وقوعها ولا المكان الذي وقعت فيه فيما اذا اشرت الى زمان او مكان

ثانياً — لا يسعني الحال ان استوفي الكلام على هذه النهضة في الاقطار العربية الثلاثة اعني العراق والشام ومصر ولذلك أكتفي بما اعرفه عنها اجمالا في سوريا وربما اشرت اشارة اليها في العراق وفلسطين ثم بحسب ما في الامكان وما تحتمله صفحات الهلال اشرح حال النهضة في مصر

النهضة في سوريا

كان قبل هذه النهضة نهضة سبقتها في ايام مدحت باشا ولكل اسبابها . اما اسباب النهضة ايام مدحت باشا فكانت لتفكيك عرى الاتحاد العثماني ومن اشهر ما نظم اثناءها قصيدة

دع مجلس الغيد الأوانس   وهوى لواحظها النواعس

وكان من ورائها انكلترا واما مدحت باشا فكان فزاعة بين أيدي ساستها الذين كانوا يحاولون بها الوصول الى السودان والاستيلاء عليه أو على الاقل دق وتد جحى فيه الى ان يحين لهم الوقت المناسب مع الأيام . لكن مع ما بذله مدحت باشا لأجل ترويجها لم تكن البلاد في استعداد لها ولم يكن أيضاً قد حصل التفاهم بين الانكليز والفرنساويين عليها فتلاشى أمرها بعزله ونقله الى ازمير ثم أخذ من هناك تحت الحفظ بتهمة اشتراكه في مقتل المرحوم عبد العزيز وأرسل مكانه المرحوم حمدي باشا والياً على الشام فلم يحتج هذا الوزير الأمين لدولته الى اكثر من الأمر بحبس واحد من الشبان الذين بالغوا باثارة الخواطر من غير ما تقية ولا تكتم فاشتملت عليه القنصلية الانكليزية في دمشق وتوسلت لاخراجه من السجن وأرسلته بصورة مبعد كما أظن الى القاهرة وهناك تعين على أثر وصوله ترجماناً لجيش الاحتلال . هذا خلاصة ما بقي في ذهني من أمر المرحوم شاكر بك الخوري ولا اكفل ما أثرت فيه الأيام من التكيفات الخفية ولكنها لم تكن شديدة ولا

كثيرة كما اؤكد للقارىء العزيز

على ان هـذه النهضة لم تذهب بلا فائدة للدافعين اليها أعني انكلترا . وانرها على ما اعتقد وكما فهمت من كل حوادثها وما تلاها حتى الآن هو ان الاستانة تساهلت فأذنت بارسال الحملة الانكليزية لتخليص غوردون باشا وكان هذا بذهابه الى السودان قد هيأ كل الوسائل لتمكين الدراويش من الاحاطة به في الخرطوم وقطع خط الرجعة عليه وعلى كل من كانوا هناك . وعادت تلك الحملة عن الخرطوم وكل السودان حتى وادي حلفا يغلي غلياناً بالثورة التي انتهت اخيراً بالشكل الذي نعلمه بدق « وتد جحى » اولاً ثم بتجريد الحملة الانكليزية المصرية بعد مضي سنين بقيادة الجنرال كتشنر باشا المشهور وتحت رايتين انكليزية ومصرية معاً على نفقة مصر كما اظن

هذه هي النهضة الاولى في سوريا وكانت نهضة سياسية عربية لكن ضد الاتراك . ثم كانت النهضة العربية قبل الحرب العظمى العالمية وقبيل أو أثناء الحرب البلقانية وهـذه ايضاً كانت ضد الاتراك . ثم جاءت النهضة الحالية وهي نهضة عربية شرقية تطلب الاستقلال السياسي والاقتصادي والجنسي

أسباب النهضة الحالية

من منا لا يتمنى أن تكون هذه النهضة قائمة على أساس وطيد يضمن لها البقاء بل من منا لا يتألم من مجرد الفرض انها فوران

وقتي لا يلبث أن يخمد ؟ لكن هل تسوغ لنا عواطفنا أن نكذب أنفسنا ونغفل عما كان يمر بنا منذ ايام قلائل ؟ البارحة كنا أي أهل سوريا وفلسطين نستقبل الحلفاء باطلاق البارود وزلاغيط النساء وقرع الاجراس في قبب الكنائس وآذان المؤذنين في الجوامع ونحمد الله ان خلصنا من العثمانية وظلم الظلام القاسطين الغاشمين. بالامس أسرع علينا في بيروت وأكابر أعياننا بأوتوموبيلاتهم يتلقون الفاتحين الى عكا أو صور ويهولني أن أقول ماذا كان يقال في اجتماعات كثيرة عند وصول الجيش الفاتح وماذا سبق به الطراش ينفثونه في آذان الكثيرين من الأهلين أعني في آذان الاعيان والكبراء وفي آذان أهل النباهة وذوي اللسن من الادباء والخطباء والكتاب الخ الخ. وكيف كانت تتكيف الأفكار وتتقلب الخواطر بين اسبوع واسبوع واحياناً بين يوم وآخر والى الآن لم نستقر على شيء ثابت بعد بل لا نعرف كل ما نريده تمام المعرفة

نعم نشاهد نهضة سياسية — وان كانت تلبس أحياناً لباس نهضة أدبية اجتماعية — فما سببها ؟ خابت آمالنا بدول الحلفاء وخيبة الآمال ليست بسيطة . رأينا أنفسنا في أمور كثيرة كنا نحب التخلص منها لا نزال حيث كنا بل في بعضها قد نقول انا رجعنا الى الوراء . كنا عصبة واحدة او لي قوة فاذا بنا جماعات متفرقة ضعيفة . كنا أولا ولاية واحدة أو ولايتين فاذا بنا دول سبع . يا لمرارة ما شعرنا ونشعر به ! وأمرنا نفساً التجار وأهل الصناعة والزراعة بل

أصبح يشعر بالمرارة حتى العملة ومتعاطو الاسباب التافهة ودع عنك الادباء والكتاب فانهم بدأوا يشعرون ببوار حرفتهم الشريفة . لكن الأولى بنا أن لا نحركهم فانهم فيما أعتقد ابعد الناس عن الاعتراف بمرارة النفس التي عم الشعور بها أو كاد يعم كما انهم ابعدنا عن الاعتراف بخيبة آمالنا وقد خابت . ومعنى كل ما قلته قد يفهم منه ان نهضتنا العربية الشرقية الحالية أشبه بفوران وقتي ان لم تكن فوراناً ولكني لا أقول ذلك لاني يؤلمني حتى مجرد خطور هذا الخاطر في بالي

دعوني اذن أقول ان نهضتنا هذه هي نهضة حقيقية . نعم وقد بدأت تكون كذلك باذنه تعالى ولا أقول ذلك مجرد رياء ارضاء لعواطفي وعواطف مواطني بل هناك ما يسوغ لي قولي هذا ويصحح حكمي وهو ان شدة مرارة أنفسنا نبهت أنفسنا لدرجة من الشدة لا يزول اثرها بسهولة فاصبح يجوز لنا أن نعتمد على تكيفات الوجود التي قد تأتينا بما يحقق آمالنا من حيث لا نحتسب . على أني مع الاسف أقول اني لا أرى في سوريا وجيهاً تستتبع وجاهته ما سواها من الوجاهات ويقر له بقية الوجهاء برياسته ثم هو يطمع بالانتفاع من هذه النهضة وعنده من المال ما ينفق عليها الى أن تستحكم في النفوس وتبلغ درجة لا يستطاع قلعها منها ولا تحويل الافكار عنها . لو كنت ارى مثل هذه الوجاهة ما توقفت ولا ترددت في حكمي عن اصالة هذه النهضة وثباتها الى أن يبلغ أهلها ما يريدون . نعم

ليس امامي الآن ما أفزع اليه فاؤمل من ثم لأجله باستمرارها وازدياد عدد الناهضين بها وشدة تضامنهم ايضاً الا شدة مرارة نفوسنا بما كان من خيبة آمالنا وانكشاف مقاصد الحلفاء بعض الانكشاف لنا ولا اقول كل الانكشاف فاني كنت اخاف ولا ازال اخاف من سذاجتنا التي تصدق كل ما تسمع من خوالب العبارات وتنخدع بها

***

يكفي ما ذكرته عن سوريا ولبنان واترك الامر في العراق وفلسطين وشرقي الأردن الى عارف باحوال هذه البلدان العربية من بنيها فان الابن لا يتهم كما يتهم غيره وغاية ما اقوله أو استطيع اقوله اني اخاف على هذه البلدان العربية أن تصبح ملعباً للسياسة الغربية وهنا الخوف كل الخوف فاني ارى من وراء ستار السياسة اللاعبة على لوحة فلسطين وارض الفراتين الى شطوط البحر الاسود شمالاً وبحر قزبين شمالا شرقياً قوماً سحرة بل اسحر السحرة السياسيين الذين يستطيعون بسحرهم أن يفرقوا بين المرء وزوجه وبين الام وبنيها

النهضة في وادي النيل

ان اول نهضة عربية شرقية حسب الظاهر كانت نهضة المرحوم اسماعيل باشا الخديوي الكبير وما اتصل باذيالها من الحركة العرابية ولكنها كانت لتفكيك عرى الوحدة العثمانية وقد رتب معظم

فصولها الساسة الانكليزيون الماهرون واليك البيان :

لا آخذ القارىء الآن الى ايام نابوليون بونابرت القائد العظيم وموقعة أبي قير ولا الى ايام محمد علي باشا وما كان في ايامه الاولى الى ان قضي على المماليك وأصبح والي مصر لا ينازعه منازع فان السياستين الانكليزية والفرنساوية كانتا حينئذ بل بقيتا الى ما بعد الحملة المصرية الابراهيمية بل الى سنة سبعين على طرفي نقيض الا في فترة قصيرة تغلب فيها دهاء بالمرستون على نابوليون الثالث حتى استجره الى محاربة الروس سنة ١٨٥٦

بعد سنة السبعين بدأت السياسة الانكليزية تتقرب من السياسة الفرنساوية وكأنما الفرنساويون انتبهوا بعد اندحارهم امام الالمان الى ان السياسة النابوليونية القائمة على معاندة انكلترا ومزاحمة نفوذها في مصر سياسة عقيمة فاتفقت السياستان على الامر المشترك بينهما وهو تفكيك عرى الاتحاد العثماني وان تقنع كل منهما بحصتها وتعدلا عن المزاحمة بينهما

ورأت الدولتان في المرحوم اسماعيل باشا الرجل القوي الجسور الطموح المفتوح اليد بل بالحري المبذر الوسيلة العظمى لهذه الغاية فاعانتاه على طموحه فنال في سنة ١٨٦٦ خطاً شريفاً مؤذناً بالارث الصرح في عائلته . وفي السنة التي تلتها نال لقب خديوي وهو أرفع رتب وزراء الدولة

ولم يقف اندفاعه عند هذا الحد فزار الاستانة سنة ١٨٧٣

وقوبل فيها باعظم الترحاب ونال من التفات الحضرة الشاهانية المرحوم عبد العزيز ما لم ينله احد قبله من اهل بيته . ثم لم يلبث ان عاد الى مصر حتى جاءه الفرمان الشاهاني يخوله كل الحقوق المعطاة لرتبة الخديوية وهي حقوق الوراثة لاول ابنائه والأستقلال بالاحكام الادارية واقامة المعاهدات مع الدول الاجنبية واستقراض القروض الخ . . .

ويظهر من مطالعة هذا الفرمان ان الخديوية المصرية اصبحت به مستقلة فعلا كاستقلال أية دولة وضعت يدك عليها من دول اوربا حاشا الدول الست العظام . نعم اصبحت بالنسبة الى العثمانية الضعيفة مستقلة تمام الاستقلال وانفكت عروة ارتباطها بالاستانة الى الدرجة التي كان يريدها القوم

بدأ المرحوم اسماعيل باشا بعد هذا الفرمان بالاسراف في نفقاته وبالاستقراض لها ولمشروعاته التي كان كثير منها لخير البلاد وظهور لمحة عليها من لمحات ابهة المدنية الاوربية كما أن منها ما كان لاظهار ابهة الخديوية وعزة الملك حتى اذا أكمل دوره في التمثيل الذي أراده القوم وكانت الحرب الروسية العثمانية قد انتهت وأمضيت معاهدة برلين التي اعطيت فيها الهرسك والبشناق لاوستريا وقبرص لانكلترا اولا ووقع الاتفاق السري بين فرنسا وانكلترا على ان تحتل الاولى تونس والثانية مصر وفقاً لبروغرام تقاليدهما القديم

لما تم كل ذلك وجاء الوقت لان تستلم انكلترا حصتها ولما

كانت تعلم ان دون استلامها واسماعيل العظيم على سرير الخديوية خرط القتاد في الليلة الظلماء أقيل المرحوم اسماعيل باشا ونصب مكانه ابنه المرحوم المغفور له محمد توفيق باشا

نعم أنزل اسماعيل العظيم عن سريره بمصادقة الاستانة التي كان انتهض عليها وظن انه فاز بما نهض لاجله والحقيقة ان الفوز كان لمن كانوا يدفعونه الى ما وافق هوى في نفسه وظاهره مجد لمصر واستقلال له ولها عن تسلط الاستانة وتدخلها في شؤون بلاد النيل المبارك تدخلا يعوقها عن السير في معارج الفلاح أو يؤخرها الى أزمنة عن بلوغ قمة المجد الخليق بها

لم يكن المرحوم اسماعيل باشا مغفلا ولكن دهاء الساسة الغربيين ولا سيما ساسة انكلترا القديرة اعمق من ان نكتنهه نحن الشرقيون ولا سيما من غلب عليهم أو فيهم الدم العربي أو الذين كيفهم المحيط المصري الشرقي أثناء بعض أجيال الى ما يناسبه

النهضة العرابية

احتلت فرنسا بلاد تونس ووجدت المسوغ لاحتلالها في تأديب قبائل الخمير التي كانت تعيث فساداً كما ادعي على حدود الاملاك الفرنساوية وبقي على انكلترا وفقاً لتفاهمها مع فرنسا أن تجد مسوغاً شرعياً ظاهراً لاحتلال القطر المصري فظهرت الحركة العرابية وكان ظاهرها لازالة الاستبداد العسكري التركي بابناء مصر واعطائهم حقوقهم الخليقة بهم بحيث يصيرون هم والأتراك والشراكسة ومن

اليهم على مستوى واحد وفي الوقت نفسه لازالة الامتيازات الاجنبية والتخلص من استبداد ابناء الرعويات الاوربية التي كانت قد بلغت في فظاعتها الى ما لا يطاق

ما كان أحلى ظاهر تلك النهضة وما أخلبها للب ولذلك نالت عطف معظم الاهلين على اختلاف طبقاتهم في مدة أقصر من يوم المسرة ولقاء الاصحاب ولكن يا للاسف فان الذين خدعوا المرحوم اسماعيل باشا الكبير لا يمتنع عليهم ان يخدعوا عرابي باشا وبضعة من الضباط ارفاقه

فلما أتم هذا دوره وبلغ الغاية التي يريدون ان تقع أرسلوا بوارجهم وكان ما كان من احتلالهم القطر المصري كما احتل الفرنساويون القطر التونسي ولكنهم لم يقفوا عند هذا الحد لان من بروغرامهم احتلال السودان أيضاً بل احتلال هذا القطر كان ولا يزال عندهم أهم من احتلال مصر . بقي عليهم اذن ان يدبروا الوسائل لاحتلال ذاك القطر كما دبروها لاحتلال الاسكندرية والقاهرة ولا بد قبل الاحتلال من التفاهم بينهم وبين الفرنساويين لان عين اولئك كانت متوجهة الى مراكش كتوجه عين هؤلاء الى السودان

ومن الدهاء العجيب بل قل من حسن السياسة التي يجب على الشرقي العربي أو التركي ان يتعلم مثلها أو يفطن لها هو ان المحتالين استعانوا بالاستانة على خلع عرابي كما استعانوا بها على خلع المرحوم

اسماعيل باشا وأظهروه أي عرابي أخيراً بمظهر عاص على خديويه وخليفته المظيم عبد الحميد غفر الله لهم أجمعين ولنا معهم

النهضة الكاملية

نهضة المرحوم مصطفى كامل كانت وسطاً بين النهضة العرابية مسببة عنها وبين نهضتنا هذه الحالية المباركة وسبباً لها . والفرق بين ما تقدمناها وبينها ان النهضة الاولى التي كان قطبها اسماعيل والثانية التي كان قطبها عرابي كانتا لفك عرى الاتحاد العثماني ومصة من مصات عقد رابط ذلك الاتحاد وكان العاملون فيها من وراء الستار هم الانكليز والفرنساويون بالدرجة الاولى ومن سواهما بالدرجة الثانية . واما هذه فالعاملون فيها كانوا وما زالوا من الوطنيين

انقضت معركة التل الكبير وأبعد المرحوم عرابي باشا الى جزيرة سيلان وأبعد غيره كثيرون الى مناف غيرها واستلم زمام الامر والنهي في الجيش المصري ضباط من الانكليز بدلا من الاتراك والشراكسة الغاشمين العاسفين كما كانوا يزعمون أو يدعون وبدأ أهل النهضة الوطنيون العرابيون يتوقعون ان يتحقق لهم ما كانوا يحلمون به ويسعون اليه ولعلهم كانوا بمكان من السذاجة كما كنا حتى كانوا يصدقون ان القوم غايتهم في رنة العود — في خدمة الحق والانسانية وانصاف الأقوام المظلومين والاحسان الى الفقراء والمساكين — لا في ربة العود — الاستئثار بالسلطة واستنضاض المنافع واحتياز الاموال

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

مرت على الضباط العرابيين بضع سنين ينتظرون فيها ان يتحقق لهم ما كانوا يؤنسون به فاذا بهم بعد ان كانوا يأمرون من تحتهم من الاتراك والشراكسة ويأتمرون بأمر من فوقهم أصبحوا لا يجسرون ان يأمروا وان نفراً بسيطاً من الانكليز فكيف بالأونباشي أو السرجنت

ثم جلس عباس حلمي على اريكة الخديوية وكان شاباً قوي البنية قوي الارادة قوي التدبير المالي وهو يظن انه أمير البلاد وله الأمر والنهي أو قل معظم الأمر والنهي فيها من اقصاها الى اقصاها فما أسرع ما خابت آماله حين رأى يد كرومر من فوق يده يد يغطيها مخامل الحرير الناعمة ومن وراء تلك المخامل حسك لحديد القاسية تحز اللحم وتنفذ في العظام

تولد في نفس عباس كره شديد على نسبة شدة شكيمته ومرارة نفسه ومرارة النفس هذه كان ولا شك يشاركه فيها كل أمراء البيت الخديوي وكل أعيان البلاد وكبراؤهم وكل أمراء العسكرية على نسبة ما تحيف من وجاهتهم ونفوذهم ومن لم تتحيف اليد الحديدية من كرامته ونفوذ جاهه في كل القطر المصري ؟

وأحس المغفور له السلطان عبد الحميد بما فعلته السياستان البريطانية والفرنساوية وما ترميان اليه في المستقبل فمد كلتا يديه

اليمنى الى الامبراطور غليوم واليسرى الى عباس حلمي باشا بما يشجعه على مناهضة السياسة الانكليزية واظهار كرهه لها

وما ذاك بخلا بالنفوس عن القنا ولكن صدم الشر بالشر أحزم

أشرنا في أول هذه المقالة الى ان المال والوجاهة من أشد ما يسندان النهضات السياسية والقائمين على نشرها وتمكنها في النفوس وقد تكفل بذلك البيت الخديوي وأكابر أعيان البلاد . فأين الرجال بل أين الرجل الذي ولدته الايام في مصر لحمل هذه الأمانة والقيام بتلك النهضة التي هي أمنية كل أمة ومطمح كل شعب له ماض مجيد غلب على أمره واستبد به ؟ ولد لحمل هذه الأمانة والقيام بنشرها والدعوة اليها المرحوم مصطفى كامل باشا فليحي ذكر مصطفى كامل وليخلد اسم هذا الوطني الكبير في قلب كل مصري وناهض عربي شرقي وليكتب اسمه واسم كل من لبى دعوته من الادباء والعلماء والاعيان والصلحاء والذين كانوا من ورائها يسندونها بمالهم وجاههم من الامراء والوزراء — ليكتب اسم كل واحد من هؤلاء في سجل مفاخر ابطال الامم

فذلكة

ان نهضة المرحوم اسماعيل باشا كانت مقدمة للنهضة العرابية ولا بد لها أي للنهضة العرابية منها وهذه بدورها جاءت مترتبة على ما قبلها وعلة لنهضة بعدها أعني النهضة الكاملية الخالدة

هذه النهضة الوطنية لكسر نير تفوق الاجنبي ومحو سواد

الذل والمهانة عن محيا كل أبناء وادي النيل بعثت النفس المصرية من سباتها العميق وزعزعت ذلك الاعتقاد الراسخ كان في النفوس بانحطاط الهمم وصغر النفوس وميزة الغربي بالفطرة على الشرقي وانبعثت معها نهضة أدبية تكاد مصر لم تشاهد مثلها منـذ الأيام الأولى الى الآن ويكفي الاشارة الى الأدب السامي العالي الذي ظهر في خطب المرحوم مصطفى كامل باشا وفي مقالاته السياسية ومؤلفاته العديدة وفي مقالات المؤيد وكتاباته وفي كتابة كل الجرائد والمجلات المصرية الآن على اختلاف نزعاتها ومواضيعها والغاية التي ترمي اليها

وأدباء القطر المصري بل أدباء كل الاقطار العربية يعرفون نفاسة ما ظهر من المؤلفات والتراجم في أثناء الثلاثين سنة الاخيرة وما أراني بعيداً عن الحقيقة فيما لو قلت ان الآداب العربية في مصر عادت بهم — بالأدباء المصريين كلهم لا أخص فئة دون فئة ولا مذهباً دون مذهب ولا قديمي الوطنيـة دون مستجديها — الى ما كانت عليه في أعظم زهوها أي ما بين القرن الثالث والسادس من الهجرة العربية

وانبعث أيضاً مع النهضة الأدبية احترام كلي للنفس فمات ذلك الاعتقاد المحط بالنفس المذل لها والذي كان اكبر مسبب لخلودها واستكانتها الى الرق المعنوي الذي هو أشد ايلاماً وضرراً في البلاد من الرق السياسي فأصبح المصري لا يقر بالميزة للاجنبي كما كان (وكنا ولا يزال في غير وادي النيل) قبلا وأصبح شائعاً

عند خاصتهم وعامتهم ودينًا مصدقًا ان طبيبنا لا ينقص عن طبيبهم ولا يجوز ان ينقص وصيدلينا لا ينبغي ولا يجوز ان ينقص عن صيدليهم وكذلك كاتبنا وأديبنا وعالمنا ومعلمنا وصانعنا وتاجرنا الخ الخ . وبكلمة أخرى استفاق فيهم احترام النفس واعتقاد الكفاءة بالذات ـ وكما تشعر النفس كذلك تكون

كل هذا مما يسوغ لي الحكم ان النهضة المصرية الوطنية الحالية أصبحت نهضة متمكنة في النفس يصعب اطفاء جذوتها المقدسة من نفوس القائمين بها مهما قاومهم المقاومون وسيبذل الغرب ودول الغرب كل ما في وسعهم لمقاومة روح هذه النهضة ولا سيما أهل السياسة وملوك الاموال الذين فاق استبدادهم بالانسانية كل استبداد سبق للكهان والملوك والامراء والاعيان . وبفوز النهضة المصرية ينهض الشرق عن آخره كثيراً أو قليلاً كل قطر على حسب استعداده

وفي نفسي تفاصيل كثيرة في شأن ما يدعم هذه النهضة من الوسائل . لا أستطيع بيانه الآن وربما الى أجل غير مسمى ولا أظن تسعني فيه صفحات الهلال العزيزة فالمعذرة من القراء الافاضل والسلام

جبر ضومط

الاستاذ معروف الرصافي

١ ـ لا أدري أية نهضة تعنون في الاقطار العربية . أنهضة سياسية أم نهضة أدبية ؟ فان أردتم الاولى فلا أعلم ان هنالك نهضة سياسية سوى اني أسمع ان في مصر شيئاً من ذلك . ولكوني اعتقدت ان لا أعول على السماع في معرفة الحقائق لا أعلم حقيقة ما يجري في مصر اليوم من الحركة السياسية . . . واما في غير مصر من البلاد العربية فلم أر ما يجوز ان يسمى باسم النهضة . واما الذي جرى هنالك في أثناء الحرب العامة وبعدها فلم يكن صادراً عن دافع سياسي أو شعور وطني قومي وانما كان صادراً عن يد أجنبية أوجدته لمصلحتها واستعملته لمنفعتها . . . وكيف يمكن حدوث نهضة سياسية عامة حقيقية في بلاد استولى على أهلها الجمود الديني واختلفت عقائدهم وتضاربت نحلهم وهم لم يتمسكوا من أمور دينهم الا بما يطيل مسافة الخلف بينهم وانحطت أخلاقهم الى حيث جعلوا الدين بأيديهم آلة لضرب بعضهم بعضاً في سبيل اهوائهم المتخالفة

٢ ـ ان أردتم « بامكان اتحاد الاقطار العربية » الامكان العام اللهم فنعم اذ اكثر المستحيلات ممكن بهذا الامكان وان أردتم به الامكان الخاص أو بالفعل فالجواب هو هذا : اما في الوقت الحاضر

فلا اذ لا شك ان المراد بتضامن هذه الاقطار انما هو تضامنها في أمور السياسة العامة . وذلك لا يتم الا بعد استقلال البلاد سياسياً ودون استقلالها خرط القتاد

من المعلوم ان الاكثرية في البلاد العربية انما هي في جانب المسلمين وقد ذكرت لكم حالتهم اليوم في جواب السؤال الاول . فحالتهم هذه هي القتاد في قولي و « دون استقلالها خرط القتاد » . ومن هنا تعلم الطريق الموصل الى الغاية المقصودة من استقلال البلاد سياسياً . وتوضيحاً لذلك أقول :

ان المسلمين اليوم قبل كل شيء في أشد الحاجة الى اصلاح ديني عام وذلك لا يكون الا بعد أخذ القوم قسطهم من التربية والتعليم حتى ينشأ فيهم جيل مستعد لقبول الاصلاح . اما طرق التربية والتعليم في هذا العصر فمعلومة لا حاجة الى بيانها . فان قلت ان الأخذ بأسباب التربية والتعليم لا يتيسر الا لمن كان مالك أمره في السياسة والقوم ليسوا كذلك فكيف يكون ؟ قلت هذا غير مسلم ألا ترى اليهود كيف أخذوا بتلك الأسباب في الغرب والشرق وهم غير مالكي أمرهم في السياسة

فاذا تم للقوم اصلاحهم الديني من هذا الطريق فقد تم اتحادهم الذي هو أكبر عامل في بلوغ غايتهم وحينئذ لا بد من حصول التضامن الذي عنه تسألون

اما اللغة فلا ينكر كونها عاملا فى هذا الامر لكنها عامل

ضعيف أدبي لا يلبث ان يتداعى أمام الماديات . وكم رأينا اناساً من الناطقين بالضاد (!) لا يحصى عددهم يخدمون الاجانب ضد أبناء جلدتهم ولغتهم لقاء رواتب يتقاضونها من الاجنبي فلم تمنعهم رابطة اللغة من ذلك لفساد اخلاقهم ولانهم لم يروا من التربية والتعليم ما يوجههم الى وجهة معلومة في حياتهم الوطنية

٣ ـ ان السؤال الثالث لعجيب عندي . انني أعتقد ان الأديان والشرائع والكتب السماوية والأرضية والحكومات ونظاماتها السياسية كلها أمور تنزع الى غاية واحدة وهي سعادة الانسان على قدر الامكان في هذه الحياة الدنيا فكل ما اقتضاه الوصول الى هذه الغاية من اقتباس عناصر المدنية الغربية في جميع الامور التي ذكرتموها لا يجوز في رأيي ان يحد بحد غير تلك الغاية نفسها . فان كانت آداب العربي ومشاربه الخاصة وعاداته الاجتماعية ونظاماته السياسية الحاضرة من ضروريات سعادته في الحياة ومن مقوماتها وقف عندها والا وجب عليه تركها الى ما هو أرقى منها وانفع بدون حد يحد ويكفيه في محافظة جنسيته العربية تمسكه بلغته فقط التي بها وحدها يستطيع ان يمتاز عن غيره من الأقوام الاخرى . . .

معروف الرصافي

فهرس